

REVIEW OF PHILOSOPHICAL STUDIES

مجلة مُحكمة نصف سنوية تصدر عن الجمعية الجزائرية للدراسات الفلسفية -أفريل 2020

الترقيم الدولي : 2352_9687



مجلة دراسات فلسفية

مجلة فكرية محكمة نصف سنوية تصدر عن الجمعية الجزائرية للدراسات الفلسفية

العدد الرابع عشر

أفريل 2020

مجلة دراسات فلسفية

مجلة فكرية محكمة نصف سنوية تصدر عن الجمعية الجزائرية للدراسات الفلسفية

✓الترقيم الدولي ISSN: 9687 - 2352

✓البريد العادي: ص. ب C.48 مكتب الإخوة فراد عين الباي25020 قسنطينة - الجزائر

✓البريد الإلكتروني: majaladz16@gmail.com

✓الهاتف / الفاكس: 030224150

✓سعر العدد: 400 د ج أو ما يعادلها بالنسبة للأفراد و600 د ج أو ما يعادلها للمؤسسات.

✓الاشتراك : 600 د ج للأفراد (عددين) و1200 د ج للمؤسسات (عددين)

ضوابط النشر

1- أن يكون البحث أصيلا من صميم الاهتمام الفلسفي.

2- مجلة الجمعية مفتوحة لكل الباحثين والكتاب المشتغلين بالحقل الفلسفي وخطابه المنفتح على الفنون والآداب والعلوم.

3- أن يكون المقال جديدا ولم يسبق نشره في جهة أخرى أو أرسل لينشر في جهة أخرى.

4- أن يرفق البحث بملخص باللغة العربية وآخر بإحدى اللغات الأجنبية وبسيرة ذاتية مختصرة لصاحب المقال.

5- أن يكون وفق قواعد ومنهجية الكتابة الفلسفية.

6- أن يستوفي شروط التوثيق والتهميش العلمي. (تكون الهوامش والإحالات مرقمة بتسلسل وتوضع في نهاية المقال).

7- أن لا يتجاوز عدد صفحاته عشرين صفحة ما عدا الدراسات.

8- أن يكتب المقال بالكومبيوتر بصيغة وورد word وبخط Simplified Arabic 16 للمتن و14 للهامش في العربية وبـ Times New Roman للغة الأجنبية 14 للمتن و12 للهامش.

9- أن ترفق مراجع المقال مستقلة في نهاية البحث.

10- يخضع المقال للتحكيم من طرف خبيرين قارئين.

11- الأفكار الواردة في المقالات لا تعبّر بالضرورة عن آراء هيئة التحرير.

12- لا ترد المقالات والبحوث إلى أصحابها سواء نشرت أو لم تنشر.

محتويات العدد الرابع عشر

الحوارات

القراءات

الحرية شرط وجودي

هل يكمن جوهر الحرية دوما في القدرة على اختيار ما نرغب في اختياره ؟ وفق ما تساءل عنه آيزايا بيرلين Isaiah Berlin، الشيء الذي يجعل من الحرية شرط وجودنا وشرط كل وجود بحيث يصبح الشعار الآتي: "الاعتناء بالحرية أولى من الحقيقة" وفق هذه العبارة التي تعود للفيلسوف الأمريكي ريتشارد رورتي Richard Rorty وآخر ما عنْوَنَ به كتاب جمع محاوراته وبعض مقالاته، شرط وجود للإنسان. لا نستغرب في هذا القول ما جاء على لسان فيلسوف ناضل اسلافه - وهو ذاته - من أجل الحرية بحيث لم تبق معهم مجرد مطلق ميتافيزيقي إنما حولوها إلى واقع يعيشه الفرد الأمريكي، إلى حد اضحت معه أمريكا البلد الحلم والحالم بالحرية، كما تجسد في رمزيتها مع تمثال الحرية وهي ما يصادفه كل زائر لها قبالة خليج مانهاتن.

الحرية من شرط وجودي وأخلاقي، لا يكون من دونه للوجود الإنساني معنى، وإن انبنى هذا الشرط فلسفيا من ناحية الوعي التأملي في فترة من تاريخ البشرية لكنه تطور بفعل ممارسات الإنسان العادمة لهذا الشرط، إلى بحث دائم عن تكريس مفهوم الحرية ميدانيا عبر نقله من المفرد الميتافيزيقي إلى المتعدد الواقعي.

من الحرية إلى الحريات (التعبير، المعتقد، الاستقلالية، ....) كان في هذا الإنسان في هذا التحول يناضل فردا وجماعة من أجل التحرر من كل هيمنة كانت سواء للطبيعة على الإنسان أو من الإنسان على الإنسان. عبر سلسلة النضالات الطويلة التي عرفها بشكل خاص العصر الحديث أمكن للبشرية تقويم هنّاتها واعوجاجها بإلغاء العبودية وتجارة الرقيق وتخليص الشعوب المستعمرة من محتليها (وإن نسبيا) ضمن إطار سياسي لم تستكمل معه معاني الحرية الكاملة من سيادة واستقلالية.

اليوم، الحرية تلبس ثوب الفردية وتطمح إلى مزيد من تنويعها بحريات تعززها التقنية والعولمة ليس كشرط وجود ولكن بوهم التخلص من كل أبوية ووصاية بيد أنه يوقع البشرية كذلك في وهم آخر باتت توجهه العولمة بكل ترسانتها الإعلامية والتقنية وهو نوع جديد من الاستيلاب لا لمن يخضع مباشرة من مواطني الغرب حاضن العولمة بل لباقي مواطني العالم وقد سلبت منه حريتهم على أمل العيش في عالم حر لا يحكمه سوى الاستهلاك وتسلب من افراده حرية الإرادة لتجعلهم

مرة أخرى في موقع نضال آخر لاسترداد حريتهم مجددا من براثن عالم آخر لم يختاروه بحرية وإنما فُرض عليهم بفرضية انه سيمكنهم من حريتهم...وتلك هي مفارقة راهن الإنسان اليوم.

تقف مجلتنا "دراسات فلسفية" وهى على أعتاب عددها الرابع عشر بصيغتها المتنوعة موضوعاتيا على مجموعة من المقالات والدراسات والترجمات والقراءات. نفتتحها بمقال للأستاذ بلخير محمدي من جامعة تيزي وزو، الجزائر، عن فردريك نيتشه وفكرة موت الإله قراءة تأويلية إلى جزئية تشكل حجر الزاوية في مشروعه الفلسفى، وهى فكرة «موت الإله التى أعلنت عن الإطاحة بالإله عبر إعلان موته على لسان المجنون، ما يهمنا هنا في هذا المقال هو الخوضُ في غمار تجربة تأويلية للشذرة التي تم فيها ذلك الإعلان محاولين تبيان حقيقة من هو المجنون بل واستنطاقها لنعرف ما الذي تحمله في عمقها. ولعل هذا الجنون أو أي مرض أو هوس آخر تكون الفلسفة علاجا له ذلك ما يفيدنا به الباحث عاصم منادي الإدريسي (باحث بمختبر الفلسفة والمجتمع ـ كلية الآداب والعلوم الإنسانية، القنيطرة، المغرب)في مقاله الموسوم • ما الذي يمنع الإنسان من تحقيق العيش السعيد؟ ولعل العائق الأكبر الذي يقف في وجه بلوغ الإنسان السعادة هو الموت فإن الفلسفة تعلمنا كيفية مواجهته الموت والخوف منه كأكبر عائق نحو سعادة الإنسان. وهو الأمر الذي يجعله موزعا بين الميتافيزيقا والعلم كما سعى الباحث بدر غنيمات، أستاذ الفلسفة الحديثة بالمدرسة العليا للأساتذة جامعة مولاي اسماعيل مكناس بالمملكة المغربية، إلى مقاربته في فلسفة ديكارت حيث شكلت فكرة الله الفطرية محور نظرياته الميتافيزيقية مثل الصدق الالهى وكانت أساسا للعلم، ضمنت صدقه ومنحت للعقل ثقته وبهذا قد أنشأ علاقة خاصة بين العلم والميتافيزيقا. وفي قراءة أخرى حاول من خلالها الباحث الطاهر صافي، أستاذ الإبستيمولوجيا بجامعة سكيكدة، الجزائر، التماس مضمون قراءة إدوارد سعيد لكل من ماركس ودريدا في تأكيده على مدى انسحاق العقل الفردي داخل العقل الكلي، وكأن الفكر الغربي برمته ما هو إلا عقل مطلق يخضع له الجميع. وهو ما يستوجب حجاجا يشكل عمق كل خطاب فلسفي نجده هذه المرة مع مقال الباحث اشريف مزور، باحث بسلك الدكتوراه في الفلسفة بمكناس، المغرب، بعنوان مهارة الحجاج في الدرس الفلسفي سعى من خلاله هذا المقال إلى بيان أنه من الضروري أن يراهن درس الفلسفة - في مسعاه نحو ترسيخ آليات النقد والحوار والحس الإشكالي... وقيم التعايش والبينذاتية...- على الاشتغال على الحجاج كمهارة أساسية في أنشطة التعلم. وتجويد آلية الحجاج. وفي مقال آخر تناولت فيه الباحثة سعاد زريبي من جامعة المنار، تونس، موضوع المجتمع الافتراضي: أزمة التواصل وتحديات الفن. وكيف إن الاشتغال على أصول تشكل المجتمع الافتراضي يكشف عن حقيقة الوسائل الجديدة في التحكم من أجل الهيمنة والسيطرة، فلئن تمكنت وسائل الاتصال الحديثة من بناء "القرية الكونية" إلا أنه ساهم في تطوير وسائل التحكم في الإنسان. لذا سيكون للفن دوره الفعال من داخل "مجتمع الأزمة" المعاصر من اجل إعادة إحياء

مشاريع تعيد للإنسان قيمه الروحية وحريته في ظل ثقافة تقنية بامتياز. وبحثا عن ثقافة مدينة فاضلة ينقلنا الدكتور محمد بنحماني، أكاديمي وباحث من المغرب، في مقاله إلى السنة المسنونة في المدينة الفاضلة المأمولة عند أبي الحسن العامري، بحثا يرصد فيه مساهمة الفيلسوف، أبو الحسن العامري في إصلاح المدينة العربية الإسلامية. وعلى افتراض، بأن هذه المساهمة، تندرج ضمن فلسفة عملية: أخلاقية /سياسية إصلاحية ترفع شعار "العلم مبدأ العمل، والعمل تمام العلم." . إنه شعار سيعمل العامري، على تطبيقه في تنظيره للمدينة الفاضلة المأمولة في العالم الإسلامي بحيث سيربط تحقق هذه المدينة على أرض الواقع، بالسنة المسنونة أي تلك السنة المصبوبة في الممارسة السياسية لرئيس المدينة الفاضلة. وإلى جانب هذا الموضوع يقدم لنا الباحث خمسي الدريدي، من قسم الفلسفة كلية الآداب والعلوم الانسانية بصفاقس- تونس، بحثه حول الشك بين التأصيل الفلسفي والتوظيف الادبي: ديكارت وطه حسين ، بحث يسعى إلى النظر في الشكّ ضرورة منهجية لتجديد الثقافة في مختلف دوائرها حتى وإن استوجب الأمر تلقّيه من ثقافة مغايرة، من خلال استعارة طه حسين الشك الديكارتي واستعادته في نقد الثقافة العربية والسعي إلى بنائها على أسس متينة. ولعل هذا العمل التأسيسي هو من صميم الجهد الفلسفي في تأصيل الأخلاقي وقد بلغنا حوله موضوع التأسيس الفلسفي للأخلاق وفق نموذج مارسيل كونش ، كتبه الباحث يوسف مريمي، باحث من المغرب، وأراد من وراء التساؤل عن انهيار القيم جراء الإعلان عن موت الإله إلى التساؤل عن سر اهتمام الفلاسفة والأخلاقيين بالمسألة القيمية، ومحاولتهم إيجاد مراجع قيمية تأخذ في الحسبان مستجدات المرحلة التاريخية وخصوصيتها، لا سيما حرص معظمها على تجنب المبادئ الأخلاقية المتعالية، وتركيزها على أسس أخلاقية تستوعب تناهي الوضع البشري.

وفي باب الدراسات كتب الباحث رشيد قدور من جامعة الجزائر 2، التفسير السيكولوجي الفرو يدي للنشأة الأخلاق وطبيعتها بحثه درس وحلل فيه منتقدا البناء الأخلاقي على أسس سيكولوجية كما أرادته النظرية الفرويدية في تطبيقها التحليل النفسي على القضايا الأخلاقية والاجتماعية والحضارية. انطلاقا من البحث عن أصل الطوطمية كمؤسسة اجتماعية ودينية نظمت حياة المجتمعات البدائية، يتم من خلاله تسليط الضوء على المفاهيم المركزية في التحليل النفسي، كعقدة أوديب نواة الطوطمية، التي هي الأصل في نشأة الأخلاق والدين، والعصاب وعقدة الخصاء والرهاب والتماهي وغيرها من المصطلحات السيكولوجية الفرويدية في صلتها بالبعد الفلسفي لفكر فرويد.

أما في محور الترجمات فقد ارتأينا نشر العمل الترجمي حول الديمقراطية من أزمة إلى أخرى لمارسيل غوشيه، الذي وافانا به الباحث قاسم شرف، باحث في الفلسفة السياسية المعاصرة- جامعة ابن طفيل/ القنيطرة- المغرب، ويندرج حسبه ضمن محاولة تقريب فكر الفيلسوف والمؤرخ الفرنسي مارسيل غوشيه للقارئ العربي. فهو من الأوائل الذين اشتغلوا على سؤال الدين في الغرب منذ

السبعينيات. وهو صاحب أطروحة " الخروج من الدين" التي تناولها في كتابه القيم "نزع السحر عن العالم" الصادر سنة 1985. النص المترجم ورغم صغر حجمه إلا أنه مهم ومكثف وقد ارتأينا تقسيمه ونشره على جزأين بحيث ينشر جزأه الأول في هذا العدد والجزء المتبقي ينشر في العدد القادم.

وفي باب الحوارات خصصنا لهذا العدد حوارا مع الأستاذ الدكتور محمد شوقي الزين دار محتواه حول التعددية الفكرية وشرعية الاختلاف ومسائل وقضايا فكرية أخرى عملت كل من الباحثتين كريمة قبروج وخولة بوعزيز على نقلها ضمن هذا الحوار الذي أجرتاه مع الدكتور محمد شوقي الزين.

أخيرا، وفي محور قراءات أنجز الدكتور الشريف زيتوني من جامعة الجزائر 2، قراءة هامة لكتاب إيمانويل مللو ديصاكي Emmanuel Malolo Dissake وعنوان كارل بوبر، اللغة، القابلية للتكذيب والعلم الموضوعي. وقد تناول فيه إشكالية من أهم الإشكاليات الابستيمولوجية المعاصرة التي تمثل - في تقديرنا – محور فلسفة كارل بوبر المعرفية بكاملها، لما لها من تأثير على بلورة المنطق العلمي، خاصة في جانبه الموضوعي، تتجسد هذه الإشكالية في موقفه المتميز من فلسفة اللغة، بصورة عامة، وفلسفة التحليل اللغوي بصورة خاصة، ذلك، لكونها تدل على نظرية جديدة، تضاف إلى النظريات اللغوية التي كان لكارل بوبر موقفا نقديا منها، وقد بسط ذلك في كتاباته منها: المعرفة الموضوعية la connaissance objective، وبحث غير مكتمل Quête inachevé، النفس ودماغها The self and its brain وغيرها من المصادر الأخرى، التي استغلها ديصاكي في تحليل وإثراء كتابه الذي جاء في خمس فصول، تناول فيها موقف بوبر التحليلي النقدي لجملة من النظريات اللغوية التي رآها عاجزة على تفسير الحقيقة.

قراءة ممتعة ومفيدة

رئيس التحرير

م. جديدي

المقالات

قلولي بن ساعد

أسئلة النص و أسئلة الثقافة

القراءة النصية والقراءة الثقافية

أسئلة النص وأسئلة الثقافة

قلولي بن ساعد



أسئلة النص وأسئلة الثقافة

القراءة النصية والقراءة الثقافية

فردريك نيتشه وفكرة موت الإله - قراءة تأويلية -

بلخير محمدي❖

ملخص:

لا يتجه المقال في عمقه إلى فلسفة فريدريك نيتشه❖ في كليتها، وإنما إلى جزئية تشكل حجر الزاوية في مشروعه الفلسفي، وهي فكرة «موت الإله» التي جاءت في الشذرة رقم (125) من مؤلفه الشهير «العلم المرح»، والتي اعتبرها المفكر التونسي د. فتحي المسكيني في غاية الأهمية لأنها ترسمُ لنا فاصلا "بين حقبتين روحيتين متباينتين تماما في تاريخ الإيمان الحرّ: إنه الانتقال من عصر الدين(الذي انتهى باستعارة موت الإله القديم) إلى عصور المقدّس(التي تبدأ بنبوءات من دون آخرة)"[1]. ولئن كانت الجزئية تلك عنده بتلك الأهمية، فإن المتن النيتشوي في كليته عند د. غانم هنا يشكل فاصلا بين حديث ومعاصر، وشرخ عميق في الوعي الإنساني لأنه يضربُ في أس الأسس كلها محدثا بذلك "قطيعة حادة مع الاتجاهات السابقة، سواءٌ كان في الشكل أو اللغة أو المضمون، كما غابت عن هذا الفكر جميع السمات الكلاسيكية والمنطقية التي سادت من قبله، وهو الذي وصف نفسه بأنه عاصفة هوجاء، أطاحت بكل ما قيل حول الإنسان"[2]، بعدما تم الإطاحة بالإله عبر إعلان موته على لسان المجنون، ما يهمنا هنا في هذا المقال هو الخوضُ في غمار تجربة تأويلية للشذرة التي تم فيها ذلك الإعلان محاولين تبيان حقيقة من هو المجنون بل واستنطاقها لنعرف ما الذي تحمله في عمقها، لأن الأسئلة التي طرحها في

❖ أستاذ وباحث بجامعة مولود معمري ، تيزي وزو

صلب المتن والتي كانت في كل مرّة تتكثر تحيلُ إلى أن المسألة فيها مداورة على الكل ويستدرج عن وعي تاريخا بأكمله في تلك الشذرة وعريه على حقيقته وكأن شيئا ما كان يحدث دون أن يلحظ أحدٌ ذلك، وأن التوقيع كان لفيلسوف حجب اسمه بالإحالة إلى أن القائل هو المجنون. ربما ليرفع على نفسه الحرج، أو لتمر الفكرة بسلام دون ملاحقة.

العبارات المفتاحية: المجنون، موت الإله، الملاحدة، نيتشه.

Résumé:

En substance, l'article ne fait pas référence à la philosophie de Friedrich Nietzsche dans son intégralité, mais plutôt à une partie constituant la pierre angulaire de son projet philosophique : l'idée de « la mort de Dieu » figurant au paragraphe N° 125 de sa célèbre œuvre « Le gai savoir », que le penseur tunisien Dr. Fathi Al Maskini considérait d'une grande importance, car elle décrit un tournant entre deux époques spirituelles très différentes dans l'histoire de la liberté de foi : le passage de l'ère de la religion (s'achevant par la métaphore de la mort de Dieu) aux âges du sacré (commençant par des prophéties sans éternité). la partialité à cette importance. dans sa totalité pour le Dr. Ghanem, car elle constitue ici non seulement la séparation entre le moderne et le contemporain, mais une profonde rupture dans la conscience humaine. Elle frappe à la base de toutes les fondations, formant une « rupture nette avec les tendances précédentes, que ce soit dans la forme, le langage ou le contenu, car toutes les caractéristiques classiques et logiques qui prévalaient chez lui étant absentes de cette pensée, et celui qui se décrivait comme une violente tempête, renversa tout ce qui était dit sur l'homme ». Après que Dieu ait été renversé en annonçant sa mort sur la langue du fou. Pour notre part dans cet article, il y 'a lieu de plonger dans une expérience interprétative du fragment dans lequel cette déclaration a été faite, en essayant de montrer la réalité de ce qui est fou et par la meme occasion l'interroger, car les questions qu'il a posées dans le cœur du texte intégral tout en augmentant à chaque fois, indiquent que l'affaire est diffusée à tous, et que la signature était pour un philosophe dont le nom a été caché en se référant à celui qui a dit qu'il était fou (peut-être pour se libérer de l'embarras, ou pour passer l'idée en paix sans être poursuivi.

Mots clés : Le fou, mort de dieu, athéistes, Nietzsche

تمهيد:

ربما قدرُ بعض الفلاسفة أن يساء فهمهم، ويتعددون على أيدي قرائهم، وتنفتحُ متونهم على تأويلات عدّة تبعا لخلفيات من وقعت بين أيديهم، النتيجة دروبٌ جديدة تفتح، ينجرُ عنها انهيار تصورات وأفكار إلى ذلك الحين كانت على قدر من اليقين، لأن نصوص أولئك الفلاسفة تحملُ في عمقها ما يقوضُ الأساسات أو كلُ من تحول إلى أصنام/ أوثان في اليومي، هم جذريون في الأسئلة التي يطرحونها، وأيضا في الإجابات التي يقدموها، لذا تجد نصوصهم مربكة للعقل الكسول وللعقائد السائدة، وللذين يحرسونها ويرممونها على الدوام، من كهنة، فلاسفة، مثقفين وحشد، وحده الغربُ من أنتج ذلك النوع من الفلاسفة أو على الأقل في المرحلة الحديثة والمعاصرة، وكأن خاصية العقل الغربي بدءا من تلك الأزمنة أنه عقلٌ يفكر، يناضلُ من أجل أن يبقى يفكر، يناضلُ ضد هيمنة الأصنام الثقافية/ الفكر/

العقل[3] والسياسية، وتوقيع بأنه عقل مناضل في الأزمنة تلك كان على يد ديكارت (ت1650م) وفرنسيس بيكون(ت1626م)، وتوماس هوبس (ت1679م) جان جاك روسو (ت1778م) [على سبيل المثال لا الحصر]، حيثُ أعاد من خلالهم تأسيس الحياة الثقافة والسياسية على قواعد جديدة، الغريبُ في الأمر أن ما تم تأسيسه تحول فيما بعد إلى أصنام وعقائد صلبة، وعلى رأسها العقل الذي فتحت به الأزمنة الحديثة، وتمددت سلطته في العلم، الدين، التاريخ والسياسة حتى صار هو القابضُ على كل شيء قيمةً ومعرفةً يقول د. عبد الرحمن بدوي: "لنعم تحول العقلُ إلى] صنم [عند] الفلاسفة: آمنوا بقدرته على اكتشاف الحقيقة والوجود، وجعلوه الحاكم المطلق، والحكم الذي لا مرد لحكمه ولا معقب لقضائه(..)، [لقد] جعلوا منه إلها، ذا سلطة إلهية وجوهر إلهي"[4]. ولئن قيض له بأن يتوثن وتتشمع مفاصله في لحظة زمانية، فهو لم يبق رهين ما أنتجه من تصورات وأفكار تحولت إلى وحل فيما بعد، طبعا بقدرة قادر والتي هي من صميمه أصلا استطاع أن يخضع كل شيء للنقد وإعادة مساءلته من جديد، ليشكل نقد النقد "خصوصية لهذا العقل الغربي، لأنه هو الذي لا يستريح لإنتاج ولا لحصيلة إنتاج، ويصعد دائما من المنتج إلى الآلة والوساطة والجهاز الذي فكر وصنع وابتكر وأشكال التفكير والصنع، ما ارتاح عقل الغرب إلى ذاته ولا إلى أية منظومة ثقافية أو مجتمعية أو تقنية، بل حفزه نقد النقد دائما إلى أن يفك عقاله من كل جهاز يحاول احتباسه، فكانت قدرته على الانزياح وتغيير المواقع تجنبه الانشغال بلعبة التراثي بينه وذاته وصنائعه"[5].

في كل مرّة تنقلبُ فيها المفاهيم ويحدث فيها تصحيح لمسار أو منعرج حاسم يقود إلى إعادة قراءة كل شيء إلا ووراءه فيلسوف من طراز خاص، ومتونٌ فلسفية تعلنُ عن بدءٍ جديد وأفق جديد، يؤولها البعضُ على أن أصحابها يشكلون فواصل بين أزمنة وأخرى، أزمنة استنفدت ممكناتها وأخرى آيلة للإنوجاد تلوحُ بشائرها في خطاطاتها الكبرى وتفاصيلها، وربما في أعماقها تنتظرُ أن تؤول لتتموضع في اليومي، قلّة من الفلاسفة من لهم متون فلسفية هكذا، وقلّة من يشكلون حدثا فريدا في لحظة ما، لكن من أجمعت الأغلبية حوله أو حول متونه الفلسفية بصحة الحكم الذي سبق هو الفيلسوف الألمانيفريدريك نيتشه (ت1900م)، الذي عدّه جون غرايش "سيّد الارتياب والفكر الحر"[6]، مؤمنٌ بما سلّم به الفيلسوف الفرنسي بول ريكور الذي جعله الفيلسوف الثالث من فلاسفة الارتياب أو مدرسة الشبهة/الشك بعد اسمي كل من كارل ماركس (ت1883م) وسيغموند فرويد(ت1939م) فـ"هؤلاء المعلمين الثلاثة للشبهة [الشك، هم] بالتأكيد الهدّامون الثلاث الكبار، ولا ينبغي لذلك نفسه أن يوقعنا في

الضلال مع ذلك، فالتهديم [كما] يقول هايدغر في كتابه (الوجود والزمان) مرحلة لكل بناء جديد"(7). وتلكم هي الحقيقية التي لا تقبل ردا أو نقاش.

نيتشه من كثرت التأويلات وسوء الفهم إلى موت الإله:

تعرضت متونُ فريدريك نتشه الفلسفية إلى تأويلات كثيرة، وهي إلى الآن تتكثر وآيلة للتكوثر، النتيجة أن نيتشه لم يعد واحدا في الساحة الثقافية الغربية وربما العالمية، وإنما متعدد، لصيقٌ بأسماء مؤولي متونه، فهناك نيتشه مارتن هيدغر(ت1876م)، وهناك نيتشه جيل دولوز (ت1995م)، وهناك نيتشه كارل ياسبيرز (ت1969م)، ونيتشه جاك دريدا(ت2004م)، وكلٌ منهم يختلفُ عن الآخر وعن نيتشه ذاته، لذا يقال بأنه أكثر الفلاسفة تأويلا وأكثرهم من أسيء إليه في اليومي الثقافي الغربي تقول جان هريش:"لم يتعرّض مفكّرٌ لسوء الفهم، ويكن هو بنفسه مشاركا فيه، بالقدر الذي حدث مع نيتشه، إنّ فكره شائع اليوم، الجميع يتحدّث عنه، ويتردّد اسمه يسار الحق السياسيّ ويمينه، (..)، [و] ليس بوسع أحد تجاهل[ه]، إذا ما أراد مواجهة العصر بروح من الحقيقة، لكن أيضا لا أحد يستطيع أن [يتخذه] مثالا من دون أن ينتهي إلى عواقب وخيمة"(8). لأنها قد تقود إلى الارتداد عن العقائد السائدة في اليومي، وخصوصا عن العقائد التحملُ في عمقها نبذا للجسد واحتقارا لكل من ينشدُ للحياة الدنيوية، والتي تعتمدُ على معجم كامل يحملُ شحنة تكفيرية ينضافُ إليها شحنة أخرى من الرعب والتخويف لكي تجعل الاحتقار يبلغ حدوده المنطقية القصوى أي الانفصال التام بين الإنسان/الفرد والحياة الواقعية/الدنيوية، وعلى أقل تقدير تجعلُ العلاقة بينهما واهية، هشّة لكي لا يغرق الإنسان في وحل العالم الدنيوي، والبهيمية والدناسة وفق معجمها الخاص، وحدها المتون النيتشوية من تقدر على تنظيف الإنسان/ الفرد من الأوهام، وتكنسُ قيم الضعف والضعة من أعماقه وتبعثُ من جديد وكأنه قد ولد حديثا لكي يكون فاعلا في العالم، فما تفعله حقيقة هو تصحيح العلاقة بينه وبين العالم، لتجعلها علاقة حقيقية، علاقة ولد بأم، علاقة الأرض بالكائن الذي يخرج منها ويشتدُ عوده على عطاياها ويعودُ إليها في النهاية بعد أن يستنفذ كل ممكناته داخلها، نصوص/متونٌ تعمل كما يقول فرح أنطون:"على تقوية كل نفس ضعيفة نشأت في الضعف، والخمول والوهن، فمن هذا الوجه يرى كثيرون من الشرقيين فائدة [فيها، لقد] عرفتُ شابا متوقد الذهن سريع التأثر ذكي الفؤاد له مشاركة في كثير من أصناف العلوم ولكنه يئس من الحياة يرى كل شيء فيها أسود، ويستصغر شأن الجهاد اليومي في تحصيل الرزق، ويقول: كل شيء باطل وقد بلغ به اليأس درجة الضعف المطلق، وكان ذلك حاصلا في نفسه من ثلاث أمور،

الأول تربيته الشرقية الضعيفة التي رأى كل واحد منا آثارها في نفسه أو في من حوله، والثاني كبر أماني نفسه بالنسبة إلى صغر عزيمته وهمته، والثالث مطالعته الكتابات الخيالية واقتباسه المبادئ التي تحلّ العزائم مما لا حاجة إلى تفصيله، فلما رأيت منه هذا الضعف إلى هذا الحد أشرت عليه بمطالعة كتب [نيتشه] لتستمدّ منها نفسه القوة والحماسة، ففعل ولم يطالع أحدها حتى حدثت في نفسه ثورة جديدة وتقوّت نفسه وتشدّدت بعد ضعفها ووهنها، هذا تأثير مبادئ [نيتشه] وهي في هذا الوجه محمودة وأن كان لها وجه آخر غير محمود، ولكن لا بدّ دون الشهد من إبر النحل"[9].

مدهشٌ أن تتكرر العبارات التي تحيلُ إلى خطورة تعاطي المتن الفلسفي لفردريك نيتشه ضمن القولين السابقين أحدهما جاء فيه عبارة(لها وجه آخر غير محمود) والثانية نصها (لكن أيضا لا أحد يستطيع أن [يتخذ] مثالا من دون أن ينتهي إلى عواقب وخيمة)، طبعا هما من حيثُ المعنى واحد، العبارة الأولى كانت لمفكر مسيحي شرقي كتبها في العام 1908م، والثانية هي لـمشتغلة بالفلسفة من جنيف كتبتها في العام1981م، بين العبارتين قرابة 73 سنة وكأن نصوص نيتشه لا تزال بكرا لم تستنفدْ كل ممكناتها أو أن مفعولها مازال قويّا لأنها تستمدُ قوتها من المستقبل، تخاطبُ قارئيها من الأفق الذي يلوح أمامهم، وكأنها تحملُ نبوءات من طراز خاص جدا، يرتبطُ جزءٌ منها بشيء ما سيحدث قريبا يقول نيتشه: "ما أرويه لكم هنا في كتابي إرادة القوة] هو تاريخ القرنين الآتين، أصف ما سيأتي، ما لن يأتي مخالفا لما أقوله"[10]، ما سيأتي مرعبُ جدا ومخيف وقدرُ نيتشه كما يقول: "ذات يوم سيقترن اسمي بذكرى شيء هائل رهيب، بأزمة لم يُعرف لها مثيل على وجه الأرض، أعمق رجّة في الوعي، وحُكم قرارٍ حاسمٍ ضد كل ما ظلّ عقيدة، واجبا وقداسة حتى الآن"[11]. ما الذي تعنيه رجّة في الوعي هنا؟، ربما تعني أن الوعي سيتزعزع، لأن أساساته قد ضربت في العمق، وأن اليقين الذي كان يؤسسه الوعي والذي يتأسس عليه أيضا بدون ضمانة، لأن فقدان الأخير هي التي تحيلُ إليها لفظة رجّة، وهذا يعني أن فريدريك نيتشه ضد العقائد الصلبة التي تحولت إلى ضمان للوعي في صحة ما يتمثله، أو ما يصل إليه من نتائج، ضد الأشياء المتعالية، ضد الكهنة وضد الحشد وثقافة الحشد، ضد كل من يدعي بأنه يعرفُ الضامن الذي ينبني عليه كل شيء، إن السؤال الذي يطرحُ هنا وفي عجل من هم الأعداء الحقيقيون هنا، من بين هؤلاء؟.

- في البدء كان الكاهن عدوا للإنسان والحياة/العالم:-

طبعا لا يمكن اعتبار الحشد عدوا حقيقيا، لأنه بالأساس ليس علّة تلك العقائد، بل هو ضحية لجملة من الأساطير، هو يشبه الموتى

الأحياء في حركاتهم، في خوفهم من الشمس الحقيقية وحدهم كهنة المعبد هم الأعداء لأنهم هم من يرعى تلك الأوهام، ويقومون بتنميتها في اليومي بتأويلاتهم الفاسدة التي تبتزُ الكائن الإنساني في العالم، تبتزه عبر فكرة الموت، وتناهي الوجود، وباسمها يتمُ بخسُ قيمة الحياة الأرضية والحط منها والرفعُ من شأن عالم لا يوجد إلا في رؤوسهم حتى لتبدو الحياة شيئا تافها بلا معنى أو قيمة، نعم الكهنة هم الأعداء وعلّة الأمراض التي يعاني منها العالم الأرضي يقول فريدريك نيتشه:"إنّ الكهّان، كما هو معلوم، هم أشرّ الأعداء ولكن لماذا؟، لأنهم أكثر الناس عجزا، ومن العجز يتولد عندهم الكره، مرعبا وموحشا، روحيّا ومسموما كأشد ما يكون، لقد كان أشد الناس كرها في تاريخ العالم على الدوام كهّانا، وكان هؤلاء كارهون أيضا من أشدّ الأرواح مكرا:- فإزاء روح الثأر التي تسكن الكهّان يكاد لا يدخل أيُّ روح آخر في الاعتبار، وما أبلد تاريخ البشر لولا الروح التي تأتّت إليه من العاجزين"[12].

ثمّة ما يفقده العالم بفعل الكهنة، ويفقده الإنسان أيضا، كلاهما يُنْقص منه شيء، وربما يُنْقص منه كل شيء، لأن الأصل فيهما أن يكونا كل شيء، مادام كليهما لا يتحدد إلا بالآخر، من حيثُ المعنى والقيمة، الحقيقة أن العالم لا يجبُ أن يبقى بكرا، والإنسان لا يجبُ أن يبقى ساكنا ويبرر ذلك بأن الأقدار هي التي تصنعه أو تحركه، ما يجبُ عليه هو الإيمان بأن الإنسان هو علّة الأقدار نفسها، هو صانعها، وهو من يصنعُ الحدث في العالم، ما يقفُ ضده نيتشه هو هذا النوعُ من العقائد التي تقيل إرادة الإنسان من الوجود ما يكرهه هو النوع من الرجال والنساء" الذين يدعون الأمور تجري بالطريقة التي تسير بها (بما أن «الرّب قد جعل كل شيء حسنا») فهم يسمحون للظروف بقيادتهم بطريقة مهينة"[13]. المشكلة إذن هي في الاعتقاد الذي تحيلُ إليه الجملة التي بين قوسين، لأنها تحيلُ ضمنيا إلى الاستسلام وانتشار قيم الانتظار، إلى الثقة الزائدة في فكرة فقط والتي لا يمكنُ البرهنة على صحتها بالمطلق.

المدهش هنا أن العقل الفلسفي - والذي هو أكثر العقولُ إيمانا بالحرية وبإمكانية أن يطال الشك كل شيء- قد أوقع نفسه في الهاوية حين جعل من فكرة الإله ضامنا لصدق ما يتوصلُ إليه من أفكار ونتائج حول العالم الطبيعي، نعم لقد حدث ذلك مع الفيلسوف الفرنسي رونيه ديكارت الذي سلّم بصحة ذلك يقول د. نجيب بلدي:"[اعتقد ديكارت وبالمطلق بأن] الكائن الكامل اللامتناهي لا يمكن أن يكون سبب خطأنا أو خداعنا، ولا يمكن أن يسمح بأن نخدع فيما ندركه على النحو اللازم، فيما ندركه إدراكا جليا متميزا، والكائن الكامل الذي يخلق فينا قوانا العقلية المختلفة، يستطيع أن يجعل من إدراكنا الجليّ

المتميز يقيا كافيا، ويمنع بذلك تسرب الشك إلينا بأي حال من الأحوال، إن الله ضامن ليقيننا"[14]. لنستدرج ما تم تسويّده داخل المتنين السابقين، أعني الجملتين (الرّب قد جعل كل شيء حسن) و(الله ضامن ليقيننا) -طبعا الأخيرة تعني أن الضامن لصحة النتائج التي نصل إليها هي الله/ الرّب- لأن أساس كل المشكلات عند فريدريك نيتشه متضمنٌ فيهما، أعني تحديدا الرّب في الأولى والله في الثانية، نعم هو علّة كل المشاكل التي لحقت بهذا العالم وبالكائن الإنساني، بوجوده تمّ بخس والحطُ من قيمتيهما بدلالة أن البعض يسلّم بما قاله باسكال ذات مرّة "إن الإنسان هو لا شيء أمام الله"[15]. وكأنه مجرد حشرة أو قشّة أو أي شيء بلا قيمة، في حضرته يحال الإنسانُ إلى الهامش، إلى شيء لا يمكنُ أن يعتد به فكرا وإرادة وما لا يعتدُ به لا يمكنُ أن يصدر عنه شيء كمعيار أو قيمة، بل تصيرُ الأخيرة ذاتُ مصدر مفارق أو متعالي على هديه يسير دون أن يقدر على الشك أو ممارسة حقه في السؤال، لأن المقدس يلفُ تلك المعايير والقيم ويجعلها في باب المحرم التفكير فيه، ولما كان الأمرُ كذلك توجه نيتشه إلى نقد الدين المسيحي وتحديدا إلى: "المفهوم المسيحي عن الله، االذي عدّها كإله للمرضى، الله كعنكبوت، الله كروح، هو واحد من المفاهيم الأكثر فسادا حول الله، التي شكلت فوق، الأرض، وبالإضافة إلى ذلك، لعله يمثل المستوى الأكثر انخفاضا في مجرى التطور المنحدر لنمطية الآلهة، الله متدنّئ ليصير مناقضة للحياة، بدلا من أن يكون تجليّها المجّد، وأزليتها الموطّدة، في مفهوم الله، تعلن وتذاع العداوة للحياة، وللطبيعة، ولإرادة الحياة !، الله صيغة لكل النمائم الكاذبة عن الدنيا، ولكل كذبة عن الآخرة، في الله يؤله العدم، وتقدّس إرادة العدم"[16]. الإله مجردُ فكرة لكن هناك من قام بنفخها عبر فعل الأسطرة لتفيض فيما بعد وتتحول إلى ند أو عدوٌ للعالم والحياة، باسمه تبخس قيمة هذا الأخير كما يبخس كل ما هو من طبيعة الإنسان، يتوارى بفعل ذلك كل ما من شأنه أن يكون قادرا على الفعل في العالم وما من شأنه أن يكون حرّا وقويّا، فضلا عن كل ما يؤكد الرغبة في الحياة والغرق في وحل الوجود والمغامرة في الخروج من هذا الوحل في كل مرّة يحصل فيها الغرق.

إن القيم السائد التي تستمدُ قوتها من المفارق هي عدمية أو نافية في العمق والعدمية في شكلها هذا تتضمنُ ضربا من القذارة، لأن فيها نفي للحياة الواقعية والحسية يقول د. محمد أندلسي: "إن العدمية حسب دولوز لا تعني اللا وجود أو اللا قيمة، بل هي قيمة عدم، والحياة تأخذُ هذه القيمة بمقدار ما يجري نفيها وتبخيسها، والحط من قيمة الحياة يفترضُ وهما، لأنه بالوهم يتم التزييف والحط من القيمة، وبالوهم تتم معارضة الحياة بشيء آخر،

حيثُ تصبح بكاملها وهمية، وتقدّم كظاهر، وتأخذُ بمجملها قيمة عدم،(..)، والعنصر المشكّل للوهم هو فكرة وجود عالم آخر ما فوق حسي، عالم يكتسي عدّة أشكال، قد يكون هو الله، أو الخير، أو الحقيقة، أو العقل.. ومن ثم فالعدمية تعني الطابع الإنكاري لإرادة الحياة"[17]. وكأن المسألة تشبه ثقبا أسود يمتص كل ما في الحياة من قوة وإرادة ونمو، ثقبا يدخل من رأس الفرد إلى العالم، ليبدأ يتسع ويبتلع كل شيء على مرّ الزمان، وما يقع للحياة في صيغتها الكلية يقعُ لها في صيغتها الإنسانية وتحديدا الفردية والفرد، فالأخير من حيثُ هو إرادة وقوة وعقل يتعرضُ لنوع من الامتصاص من بعض الناس، نعم بعضهم "كالثقوب السوداء يمتصّون حياتك ولا يعطونك شيئا، ولأن الحياة ضرب من النور، فإنه ليس أسهل من تبذير الحياة، يشربها ثقبُ أسود ويجعل من روحك جدارا يمكن لأي كان أن يكتب عليه ما يشاء ويمر"[18]. حتى الكتب الصفراء والمقدسة هي ثقوبٌ سوداء، أو هي علّة الثقوب السوداء في الأفراد الذين ولدوا حديثا، لأنها تقدم تصورات نافية لقيمة الحياة الدنيوية، وهي المصدر الرئيس الذي يقتاتُ منه الكهنة طرقا للهيمنة، ويقومون بواسطتها بختان الفرد من كل شيء، من الإرادة التي تريد الحياة وتريدُ أن تتسيد في العالم، بمعنى ما أن "كل كهنوت هو ارتكاس إزاء الحياة، تقنية للسيطرة على إرادة الاقتدار التي تحرّكها وذلك تحت عنوان نريب: تربيتها وتهذيبها، ولا يعني ذلك في لغة نيتشه سوى تدجينها، ومعاقبتها من الداخل، بتحميلها ذنب كونها هي نفسها، أي في كونها حيّة، ذنب الحياة أو الحياة نفسها بوصفها ذنبا لا يُغتفر، الحياة هي كلّ ما وجدنا عليه أنفسنا من حيوانية دفينة، من غرائز ودوافع وحريات ورغبات وآمال وطاقات ولذات وذكاء وحقوق، سابقة على الطبقة الإنسانية أو المؤنسنة والتي ندعوها تخلّقا بأخلاق أفضل أو حسنى أو مثلى"[19]. لذا لا نستغرب من أن يتجه فريدريك نيتشه إلى رأس الأمور كلها، وعلّة الأمراض كلها، لينسفه من الأساس في مؤلفه الشهير ((العلم المرح)).

- المجنون وإعلان موت الإله:

يقول فريدريك نيتشه:"أما سمعتم بذلك الرجل الأخرق الذي، بعد أن أوقد فانوسه في وضح النهار، صار يجري في ساحة السوق ويصيح دون توقف: «أبحث عن الإله ! إن أبحث عن الإله !»- ولما كان كثير ممن لا يؤمنون بالإله متواجدون هناك بالضبط فقد أثار ضحكا كثيرا. هل فقدناه؟ قال أحدهم. هل شرد مثل الطفل؟ قال آخر، أم هل يختفي في مكان ما ؟، هل هو خائف منا ؟، هل أبحر؟، هل هاجر – هكذا كانوا يصيحون ويضحكون جميعا في ذات الوقت، سارع الأخرق إلى وسطهم واخترقهم بنظراته. «أين الإله؟، صاح فيهم، أنا سأقول لكم !، لقد قتلناه- أنتم وأنا!، نحنُ كلنا هم قتلته !

كيف فعلنا ذلك؟، كيف استطعنا أن نفرغ البحر من أعطانا الإسفنجة لمحو الأفق كله؟، ماذا فعلنا بإبعاد هاته الأرض عن شمسها؟، إلى أين تسير الآن؟، إلى أي شيء تقود حركتها؟، أبعيدا عن كل الشموس؟، ألم نندفع في منحدر طويل؟، وذلك إلى الخلف، إلى الجانب، إلى الأمام، إلى كل الجوانب؟، أما يزال هناك أعلى وأسفل؟، (..)، ألا نحس نفس الفراغ؟، أليس الجو أبرد مما كان؟، أليس الوقت ليلا باستمرار ويصير ليلا أكثر فأكثر؟، ألا يجب أن نوقد الفوانيس منذ الصباح؟ آلا نسمع شيئا بعد من ضوضاء الرمّاسين الذين دفنوا الإله؟، ألا نشم شيئا أيضا من التدعص الإلهي؟، فالآلهة أيضا تتدعّص، مات الإله !، لو] يظل الإله ميتا !، ونحن هم الذين قتلناه !، كيف سنعزي أنفسنا نحن أكبر القتلة؟، إن أقدس وأقوى ما ملك العالمُ إلى الآن قد نزف دمه بطعنات مدانا- من سيمسح هذا الدم عن أيدينا؟، أي ماء سيطهرنا؟، أية مراسيم تكفيرية، أية ألعاب مقدسة يجبُ علينا أن نبتكر؟، وعظمُ هاته الفعلة، أليس شيئا يفوق طاقتنا؟، ألا يجب علينا أن نصير نحنُ أنفسنا آلهة نبدو جدرين بهاته الفعلة؟، لم تحدث أبدا فعلة أعظم من هاته، وكل من سيولد بعدنا سينتمي، بمقتضى هاته الفعلة نفسها، لتاريخ أسمى مما كان عليه التاريخ حتى الآن». هنا توقف الرجل الأخرق وتأمل مستمعيه: هم بدورهم ركنوا إلى الصمت وصاروا ينظرون إليه دون أن يفهموا، وأخيرا ألقى بفانوسه على الأرض حتى أنه انكسر وانطفأ، «لقد حللتُ قبل الأوان، قال إثر ذلك، لم يحن أواني بعدُ، هذا الحدث الرائع ما يزال يمشي ويسافر- لم يبلغ آذان الناس بعد، يلزم الصاعقة والرعد بعضُ الوقت، يلزم ضوء النجوم بعض الوقت، يلزم الأفعال بعض الوقت، يلزمها كلها بعض الوقت، بعد تمامها، لترى وتسمع، هاته الفعلة أبعد عنهم من النجوم الأشد بعدا- ومع ذلك فإنهم هم الذين قاموا بها !»، ويحكى أيضا أنّ الرجل الأخرق دخل في نفس اليوم مختلف الكنائس حيثُ رتل ولما طرد خارجا وأرغم على تبرير سلوكه لم يكف عن تكرار: «ما هي هاته الكنائس إذن إن لم تكن مدافن وقبور الإله؟»"[20]. غريبٌ أن يمنح الكلام للمجنون!! وأن يكون إعلانُ موت الإله على لسانه، ربما لأنه الوحيد من يقول أشياء جريئة ولا يمكن أن يعاقب عليها لأن مسؤوليته الكاملة عن القول والفعل ملغاة، فالعقوبة مشروطة بالعقل وهو غائب العقل، بمعنى ما أن خطاب المجنون يفتح العصر الجديد الذي ستتكلمُ فيه الهوامش والمناطق الأشدُ ظلمة عكس العصر الحديث الذي فتح بخطابُ العقل/ الأنا أفكر مع الفيلسوف الفرنسي رونيه ديكارت.

لا يمكنُ الاقترابُ من المتن السابق دون عدّة فكرية تجعلنا نفهم وبتحرز مقاصده أو تقرّبنا من فهمه دون أن ندعي القبض على معناه الحقيقي، ومن غير تاريخ الفلسفة من يشكل

تربة خصبة نتمكنُ من خلاله ممارسة فعل التأويل لأجزاء من هذا المتن، ونكون في مأمن من المزالق التي يمكنُ أن نقع فيها بفعل المتن ذاته، فلا أحد كما ذكر من قبل (يستطيع أن ليتخذه مثالا من دون أن ينتهي إلى عواقب وخيمة). نعم نتكئُ على تاريخ الفلسفة لسبب مهم وهو أن إعلان موت الإله لم يكن بدءا بقدر ما كانت الشرطية التاريخية والفكرية والفلسفية تحيلُ إليه وكأن المسألة فيها حتمية وجبرٌ يقود إلى ذلك يقول نيتشه:"ما أرويه لكم هنا هو تاريخ القرنين الآتيين، أصفُ ما سيأتي، ما لن يأتي مخالف لما أقوله: إنه تنامي العدمية، يمكننا منذ الآن أن نروي صفحة التاريخ هذه: ذلك أن الحتمية ماضية في إنجاز عملها في هاته الحالة، لقد أصبح هذا المستقبل يخاطبنا بلسان علاماته وتباشيره العديدة، والقدر المحتوم يعلنُ عن نفسه في كل مكان، وكل الأسماع مرهفة لسماع موسيقى المستقبل هذه، حضارتنا بأكملها تهتز منذ أمد طويل تحت ضغط يصل حد التعذيب، وغم يكبر من عقد لآخر، وكأنها تريد أن تتولد عنها كارثة: قلقة عنيفة وجموحة، أشبه ما تكون بنهر يريد بلوغ مصبه"[21]. يقتلعُ ما يقفُ أمامه، وحده من يمتلك الأذن من يسمع صوت الإزاحة لتلك الكتل الضخمة التي تشكل ردما في مجرى النهر، ويحسُ بأن الأرض تهتز من تحت أقدامه وكأن قواعدها في العمق تتغير، دون أن تحس أو تدرك بذلك الأغلبية التي تعيشُ معه.

نعودُ إلى المجنون إلى كل ما قاله وشكل متنا متماسكا في بنيته ومغلقٌ في نتائجه، لأنه يستحقُ طول تأمل وتفكر لأنه ثري جدا بالأسئلة، وثريٌ بالمعاني التي يمكنُ استخلاص جزء منها، بدءاً من المجنون، الفانوس، الشمس، السوق، ومن كانوا في السوق والأسئلة التي طرحها بين ثناياه وصولا إلى الكنائس، يمثلُ المجنونُ مصدر القول أو الخطاب ذا حمولة فلسفية محضة إذا ما تم التسليمُ بصحة التعريف الذي قدمه مارتن هيدغر (ت1976م) للفلسفة بما هي التخصص في طرح الأسئلة، بل من أن"ماهيّة الفلسفة لا تتعيّن عندما إلّا من خلال طرح الأسئلة الأساسية"[22]. لأن المتن تتكثرُ فيه أسئلة مربكة تنمُ عن وعي عميق بما وقع، وبما هو آت، ربما يحيلُ ذلك إلى أن الجنون سيتكلمُ في المستقبل، وأن أمورا ستظهر يعجزُ العقلُ الحسابي أو المنطقي فهمها أو استيعابها، وبالتالي سيفتح الفكرُ/ العقل على دروب جديدة، ما قيمة الفانوس في وضح النهار؟، إن لم تكن فعلة حمله تحيلُ إلى فقدان قيمته لأن كل شيء مكشوف، لا يحتاجُ إلى مزيد من الإنارة، بل ما الذي يضيفه نور الفانوس لنور الشمس؟. لا بالقطع هو لا يضيف شيئا، بل سيكون إشعاله في النهار ضربٌ من الجنون، إن حمله ليس بريئا بل هو يحيلُ إلى شيء أعظم، إلى استخفاف بالعقل وإلى نقد عنيف له، الفانوس هنا يساوي النور الفطري/ الذي

ألهته الحداثة الغربية في الأزمنة الحديثة منذُ رونيه ديكارت (ت1650م) وصولا إلى فريدريك هيغل (ت1831م)، وكأن المسألة فيها مشاكلة بين المجنون والفيلسوف (على هيئة أفلاطون-ديكارت) كليهما يبحثُ عن الإله، الأول يبحثُ عنه بين الأشياء الموجودة في العالم، والثاني على مستوى الفكر وبالتالي هو مجردُ افتراض وفقط، لذا لا نستغربُ أن ينزلق الفيلسوف في دروب لا يمكنُ أن تقود إلى أي شيء أو إلى إجابة دقيقة ويقينية يقول إيمانويل كانط (ت1804م):"كتب على العقل البشري، هذا القد الخاص في نوع من معارفه: أن يكون مثقلا بأسئلة ترهقه، وهو لا يستطيع أن يصرِ النظر عنها، لأنها مفروضة عليه بحكم طبيعة العقل نفسها، لكنه في الوقت نفسه لا يستطيع الإجابة عنها، لأنها تجاوز كلّ ما يملك العقل البشري من قدرات"[23]. بمعنى ما أن كل الإجابات الناجمة عن تلك الأسئلة متوهمٌ في صحتها، وكلُ الأدلة التي يقدمها البعضُ ويدعي بصحتها هي تحملُ في عمقها هي هشّاشتها، بل ويمكنُ نسفها من الأساس، والحق أن درجة النفي ونسف الأدلة تساوي درجة الإثبات، بل ويمكنُ إثباتُ بأنها مجردُ أوهام لا علاقة لها بالواقع؛ لأنها ليست من الأخير في شيء، هي ضربٌ من الوهم، لذا يكون بحثُ المجنون عبر الفانوس عن الإله يعني أن العقل أو هذا النور الفطري لا يمكنه أن يكشف عن أي شيء يسمى الإله، لأن كل شيء مكشوف وهو قائم أمام الذات الإنسانية، ما يوجد حقا هو أنا وأنتم وهم داخل العالم الطبيعي ليس إلا.

يتضمنُ المتن النيتشوي أفكارا تحيلُ إلى متون فلسفة أخرى ضاربة في القدم تصل إلى حدود العهد الإغريقي، أشهرها المتن الأفلاطوني الذي يقفُ منه نيتشه موقف المقاوم له، بل ويقودُ عمليات نسف لآثاره في جسد الفكر الفلسفي، هو لوثة يجبُ التخلصُ منها، ومرضٌ يجبُ المداواة منه، وفي حالة الموت يجبُ حرق الجثث المصابة به لأجل أن لا يتحول إلى وباء، من بين الأفكار التي تحضر فكرة الشمس التي تكشف الحقيقية للعين، وهي نفسها التي لعبت الدور في المتن الأفلاطوني وتحديدا (كتاب الجمهورية) في فصله السابع الذي ذكرت فيه أسطورة الكهف[24] التي كرست بخس عالم الظاهر والرفع من شأن العالم المعقول أو المفارق يقول سقراط: "والآن، فعلينا يا عزيزي جلوكون، أن نطبق جميع تفاصيل هذه الصورة على تحليلنا السابق، فالسجن يقابل العالم المنظور، ووهج النار الذي كان ينير السجن يناظر ضوء الشمس، أما رحلة الصعود لرؤية الأشياء في العالم الأعلى فتمثل صعود النفس إلى العالم المعقول"[25]. العالم الحقيقي، وهذا يعني أن فريدريك نيتشه يستعيد ضمنيا المتن الأفلاطوني ولكن مقلوبا، ليؤكد بأن العالم المعقول مجرد وهم وعالم الظاهر هو العالم الحقيقي، الشمسُ الحقيقية الواقع والمجنون في مواجهة الشمس الافتراضية

والوهم والفيلسوف الميتافيزيقي، الأخيرُ في زيّه الأفلاطوني ومن قبله السقراطي هو الذي أوقعنا في الهاوية، بل هو الذي نقلنا إلى حافة العالم دون البقاء على الحافة بل دفعنا وبقوة نحو الهاوية، والمدهشُ هنا أن السقطة زادت سرعة وقوة بفعل المسيحية التي تشربت بأفكار أفلاطون وعالم المثل الذي تأثث بأشياء جديدة تجعلُ من العقل الإنساني يستسلم وينشّد لكل ما هو سماوي، ناسيا ما تحت قدميه من صلابة وقوة وحياة وأن أصل توازن خطاه يعودُ إلى الأرض وليس إلى السماء.

لقد كرّست المسيحية الموجود الإنساني ليكون تحت رحمة الوهم يقول تولستوي: "إن الأخلاق المسيحية التي تتبع من وجهة نظر الدّين المسيحي للحياة كما نعرفها لا تتطلب فقط التضحية بالمصالح الفردية من أجل صالح مجموعة من الأشخاص، بل تتطلب نكران الذات الفردية والجماعية من أجل خدمة [الإله]"(26). ولا يغدو الإله عند تأكيد النكران إلا ثقبا أسودا يمتصُ كل شيء، ويجعل من الموجود الإنساني يتجه إليه ويضع فيه كل قيمة وكل معنى وكل حياة، وهذا يعني أن المجنونُ هو الخصمُ الأول والأخير للفيلسوف الذي يشطرُ العالم إلى عالمين ويفضلُ الوهمي على الحقيقي، خصمٌ عنيد لأنه يضربُ الأساس ويفجرُ الأعماق، يزعزعها وكأنه سوسٌ ينخرُ العظام أو يصيبها بمرض عضال والنهاية هي الأفول، ما يؤكده الفيلسوف ويحاول إثباته بكل الطرق ينفيه المجنون بكلمة، بل يقتله ويحيله إلى العدم، ويتجرأ على القول بأنه مات في المكان الأكثر حيوية في المدينة والذي يعجُ بالناس، إنه السوق أكثر الأمكنة التي تظهرُ فيها عطايا الأرض التي لا تنتهي، المكانُ الأكثر دلالة على النمو والإنشداد للعالم وتنميته، وسيكون بين أناس يعلمون قيمة الحياة ويؤمنون بأنهم قبل الجسد لم يكونوا وبعده أيضا لن يكونوا، يعني بين أناس من طراز خاص جدا، هم نخبة من المثقفين الذين يعرفون بأن الحياة الحقيقية هنا ويجبُ أن تعاش هنا في هذا العالم وليس في مكان آخر، هؤلاء الناس هم من طراز كارل ماركس(ت1883م)، لودفيغ فيورباخ(ت1872م)، ديفيد شتراوس(ت1874م)، فريدريك إنجلز(ت1895م)، مخائيل بكونين(ت1876م)، برونو باور(ت1882م) لودفيغ بوشنر (ت1899م) وتشارلز داروين(ت1882م)، سيغموند فرويد(ت1939م) وغيرهم كثر، مثل هؤلاء يوجدون دوما في كل المجتمعات الإنسانية، هم فئة يستأنس بها البعضُ من المثقفين أو المفكرين الأكثرُ جذرية في طرح الرؤى والمسائل، ولم تخلوا الساحة الثقافية العربية من هؤلاء بدلالة أن طه حسين كان يحسُ بوجودهم على الرغم من أنه فاقدٌ للبصر، فقد كتب في مؤلفه الشهير (في الشعر الجاهلي) ما نصه: "لقد اقتنعت بنتائج هذا البحث [الذي أنشره هنا حول الشعر الجاهلي] اقتناعا ما

أعرف أني شعرت بمثله في تلك المواقف المختلفة التي وقفتها من تاريخ الأدب العربي، وهذا الاقتناع القوي هو الذي يحملني على تقييد هذا البحث ونشره في هذه الفصول، غير حافل بسخط الساخط ولا مكترث بأزورار المزور، وأنا مطمئن إلى أن هذا البحث وإن أسخط قوما وشق على آخرين، فسيرضي هذه الطائفة من المستنيرين الذين هم في حقيقة الأمر عدة المستقبل وقوام النهضة الحديثة وذخر الأدب الجديد"[27]. هذه الفئة سمّاها فرح أنطون بالنبت الجديد في قوله: "لا نعلمُ كيف يستقبل أبناء العصر هذا الكتاب في هذا الزمان، ولكنا نعلم أن النبت الجديد في الشرق قد صار كثيرا، ونريدُ بالنبت الجديد أولئك العقلاء في كل ملّة وكل دين في الشرق الذين عرفوا مضار مزج الدنيا بالدين في عصر كهذا العصر، فصاروا يطلبون وضع أديانهم جانبا في مكان مقدّس محترم ليتمكنوا من الاتحاد اتحادا حقيقيا ومجاراة تيار التمدن الأوروبي الجديد لمزاحمة أهله وإلا جرفهم جميعا وجعلهم مسخّرين لغيرهم"[28]. تلكم هي الحقيقة فئة من الناس فقط من يكونوا على قدر عظيم من الوعي والعلم بالحقيقة، هم نتاج ثقافة دنيوية بامتياز، ربما ظلت في الأزمنة القديمة على الهامش بفعل هيمنة القوى الاورثوذكسية، لكن بفعل التقدم وفتوحات العقل العلمي صارت فيما بعد في المركز أو قريبة منه جدا، وشكلت لنفسها فئة قائمة بذاتها، هي الفئة التي ذكرها نيتشه في متنه السابق، من أخص خصائص أفرادها أنهم لا يؤمنون بفكرة الإله، وبالعالم المفارق، ما يوجد بالنسبة لديهم هو هذا العالم، الذي كان زرادشت يؤكدُ عليه ضد خطاب كهنة المعبد الذي يهجر بحمولته الاغرائية والمخيفة إلى العالم الآخر يقول زرادشت:"أناشدكم أن تظلوا أوفياء للأرض يا إخوتي"[29]. هم إذن إخوة زرادشت لأنهم لا يؤمنون بما يقوله الكهنة ويعتبرون كل ما يقولونه مجرد تجديف أو تسميم الحياة بالأوهام، لقد حذر منهم زرادشت بصراحة بقوله:"[لا] تصدّقوا أولئك الذين يحدّثونكم عن آمال فوقأرضيّة !، مُعدّوا سموم أولئك، سواء أكانوا يعلمون ذلك أو لا يعلمون، مستخفون بالحياة هم، محتضرون، ومتسمّمون بدورهم، ملّتهم الحياة" فليرحلوا إذا!"[30]. بل يجب أن يموتوا كلهم دفعة واحدة، لأنهم يقفون ضد غريزة وحب الحياة، ضد العالم الطبيعي، ضد عطائهما، بل ضد كل ما يحيلُ إلى فكرة النمو والقوة فيهما، وحدها الفئة التي خاطبها المجنون من تكفر بما يقوله الكهنة يوميا، وتكفرُ بكل خطاب لا يكون فيه الواقعي/ الحياة محمولا على محمل الجد.

ربّ مجنون يفضحُ ما في أعماق تلك الفئة من أحباب الأرض/عشاق الحياة، من كره عميق واستهزاء بفكرة الإله، وأجوبتهم كانت منسجمة مع السؤال الذي طرحه المجنون أين الإله؟ الأين تحيلُ إلى المكان، لم تعد المسألة

متعلقة بـ هل يوجد الإله؟ أو من هو الإله؟ الأين يعني أن العالم قد تم اكتشافه، والظواهر الطبيعية يمكنُ التنبؤ بها، بدليل أن الفانوس استخدم للتفتيش والشمسُ تحيلُ إلى أن كل شيء تراه للعين، إن سؤال أين يعني ضمنيا أن العقل الغربي كان يجعل من الإله مجسدا، حيّا بين الناس، لذا لا نستغربُ أن يكون السؤال الذي بدأ بـ أين لا يكون إلا بعد أن كُشِفَ العالم للإنسان، لم تعد توجد مناطق مظلمة أو أشباح أو كهوف يمكنُ أن تثير الرعب، الأجوبة عن سؤال المجنون كانت مضمرة في الأسئلة التي طرحها البعضُ منهم، قال أحدهم: "هل فقدانه؟". لم يكن معنا لنفقده، لم يكن عزيزا على نفوسنا ليترك لنا فراغا رهيبا، بل لم يكن شيئا في الأصل بيننا نحنُ مثل البقية الذين هم معنا، لو كنا نشعرُ بفقدانه لكان البحثُ عنه جاريّا، لأن الفقدان هو الذي يحركُ الرغبة في الامتلاك أو إعادة الاستدراج، لأن الرغبة في الأصل "تدور في فلك النقص، فالحب هو بالضرورة حب شيء ما، ذاك أن حضور الموضع شرط أساس لقيام الرغبة، لكن حضور الموضوع هو في الغياب، لأننا حين نرغب لا نرغب في أشياء نمتلكها، بل من الطبيعي أن ننزع إلى ما لا نملكه"[31]. أو ما كان بيننا ثم فقدانه، والإله لم يكن بيننا بالمرّة، لذا لا نشعرُ مطلقا بأننا قد فقدناه.

ليأتي آخر ويجب في صيغة سؤال: "هل شرد مثل الطفل؟". الطفولة تعني فراغ الحكمة والإرادة، وعدم المسؤولية، بل تعني الوصاية وبالتالي القصور، وتشبيه الإله بالطفل تعني أنه تحت الوصاية، ثمة من يتكلمُ باسمه ويتحمل المسؤولية بدلا عنه. وحدهم الكهنة/ الكنيسة كانوا أوصياء على السماء، يتكلمون باسمها وينتقمون لها من أعدائها، حرقا، جلدا وقطع الرؤوس، ما إن سقطت سلطة الكهنة حتى شرد الإله كالطفل، ليأتي سؤال يحملُ في العمق تاريخ كامل قد توقعن سؤال مفاده "هل يختفي في مكان ما؟" قال آخر. نعم تاريخ كامل قد تحقق، على إثر عقلنة الطبيعة والكون التي حققها العقل الغربي في الأزمنة الحديثة مع غاليليو (ت1642م)، بيكون (ت1526م)، ديكارت (ت1650م)، هيوم (ت1776م)، حيثُ صارت مفهومة أحسن من الكتاب المقدس الذي كانت تأويلاته اللغوية مستعجمة، لأن لغة الكون هي لغة العقل العلمي نفسها بعيد عن الأساطير، هي لغة الرياضيات والهندسة يقول غاليليو (ت1642م): "الفلسفة مكتوبة في ذلك الكتاب، الكتاب الواسع الذي يقف مفتوحا إلى الأبد أمام أعيننا، وأعني بذلك الكون، ولكننا لا نستطيع قراءته ما لم نتعلم اللغة ونتعرف على الحروف التي كتب بها، لقد كتب بلغة رياضية، والحروف هي مثلثات، ودوائر وأشكال هندسية أخرى، وبدون هذه الوسائل يستحيل على الإنسان فهم كلمة واحدة منه"[32]. لم يعد العالم/ الكون مجرد آيات

تحيلُ إلى الإله، بل صار موضوعا تاما للذات/ الأنا فكر، هو مجالها الخاص بل وأكثر من ذلك هو المكان الذي يشهدُ على قوتها وقدرتها على تدشين معرفة يقينية وصحيحة، وفي كل مرّة تعمل الذات بواسطة التقنية على مجال من مجالات الطبيعية إلا وتكشف حقيقته وتنتهي على اثر ذلك التأويلات اللاهوتية التي كانت سائدة حوله، وترحل معها فكرة الإله إلى مناطق أبعد وأظلم، وكأن الإنارة التي تقومُ بها الذاتُ في كلّ مرّة في العالم الطبيعي، تجبرُ الإله على تغيير مكان تواجده وهذا تحديدا ما يجعلنا نسلّم بأن السؤال هل يختفي في مكان ما ؟، هو قد خرج من فم متمرّس في العلم الطبيعي، لأنه بفعل التقدم الذي عرفته تلك الأزمنة لم يعد هناك مكان يختفي فيه الإله، لأن كل الأمكنة صارت مكشوفة ومفضوحة أمام الإنسان، لم يعدُ عالم الأشياء عالمه الخاص أو المكان الأكثرُ إثارة لهز عمق الأفراد وجعلهم يتوجهون إليه، وكأنه كان يقتاتُ منه /الطبيعة في لحظة ما، لحظة غموضه وخوف الإنسان منه، فالدين في حقيقته ناجمٌ عن خوف الأخير منه يقول عزمي بشارة: "إن أصل الدولة والدين عند بايل وهوبس واحد، وهو ليس في السماء، إنه سبب إنساني غريزي هو الخوف، ونحنُ نضيف أنها ليست حالة الخوف نفسها، فالخوف المؤدي إلى الدين هو خوف بشري من الطبيعة، في حين أن الخوف المؤدي إلى الدولة هو خوف طبيعي من البشر، وأقصد خوف الإنسان في حالة الطبيعة من البشر الآخرين"[33].

الخوفُ من الطبيعة علّة الدين، لكن بعد أن تبيّن للإنسان حقيقة العالم الطبيعي، وبانت له قدرته الحقيقة فيه أعني كونه الكائن الوحيد القادر على تغيير العالم بالمعنى الماركسي[34]، وأنه قادرٌ على تسيّده بعبارة ديكارت[35]، والسيطرة عليه وفق المتن البيكوني[36] زال الخوف طبعا دون أن يؤدي ذلك إلى زوال الإيمان والدين بالكلية، بل صار بعض الأفراد ملاحدة وهم من ذكروا في المتن النيتشوي، وهم من آمنوا بأن الخوف قد انتقل من الإنسان إلى الإله [هل هو خائفٌ منا؟] بعد القبض على القوانين التي تحكم العالم الطبيعي وظواهره المختلفة.

لقد تم تجريد الإله كلية من جميع الصفات التي كانت تلحقُ به عنوّة وهي في الأصل للعالم وللإنسان، لم يعد هو المطلق واللانهائي، بل لم يعد الحكيم القادر والمريد، ما إن تم تجريده من كل شيء جاء الجوابُ في حمولة السؤال بخفة هل أبحر؟، هل هاجر؟، في أعماق الملاحدة. لنعود من جديد إلى السؤال ذاته الذي قذفه المجنون وهو يحملُ فانوسه أين الإله؟. لم يكن هناك جواب حاسم لهذا السؤال، وكأن الجميع كان ينتظرُ من قاذفه أن يردفه بالجواب النهائي، لأنه الوحيد الذي يعلمُ ذلك مثله مثل سقراط العدو اللدود لنيتشه، فهو يعرفُ الجواب مسبقا ويقودُ محاوره عبر دروب يشقها إليه بفعل

السؤال، جوابُ المجنون كان حاضرا بعد أن كرر السؤال الأول "أين الإله؟، صاح فيهم، أنا سأقول لكم !، لقد قتلناه- أنتم وأنا !، نحنُ كلنا هم قتلته !". لم يتوقع أحد منهم أن المسألة هي جريمة قتل وسيتهمون بالقيام بها لأن القائل مشارك فيها وهو من أعلنها، لقد كانوا يتوقعون جوابا غير هذا، له علاقة بالهجرة أو الفرار، اعني جواب يحملُ بين ثناياه ما يحيلُ إلى الغياب فقط دون أن يصل الأمرُ إلى فعل القتل وإعلان موت الإله، نعم أسئلتهم التي تضمرُ الجواب كانت تحيل إلى أنهم يفهمون المسألة على تلك الجهة وليس الجهة التي أخرجها المجنون، إنها صدمة حقيقية وربما كارثة لا يحسُ بقوتها إلا أولئك الذين يعرفون معنى الموت وفكروا فيه بعمق، إن المسألة هنا ليست فقدان يشبه فقدان أحد الأفراد، أو أحد الأحبة، إنه فقدان أُس الأسس كلها، لقد كان الغيابُ يعني أن ثمة إمكانية أن يكون ولكن يقيمُ بعيدا فقط، لأن الإله يجبُ أن يبقى محتجبا لأن قوته في الاحتجاب ليس إلا.

لم يكن الغياب عند المجنون سوى أن الإله قد مات، بمعنى أنه لم يعد موجودا أبدا لا قريب ولا بعيد، لا قربُ علم وبعدُ ذات ولا قربُ ذات وعلم وإرادة لم يعد شيئا يذكر، وفعل القتل حدث جبرا، وكأن فتوحات العقل الإنساني في العالم، وتجلي قدرته على صناعة كل شيء كالحدث التاريخي والسياسي والعلمي وغيرها هي من أحدثت فعل القتل، في كل مرّة يتحقق شيء في الواقع تسحبُ من الإله صفة من صفاته، وكأن الإنسان تحول إلى ثقب أسود يستعيدُ ما سلب منه، وفي كل استعادة يحققها يبدأ الجسد الإلهي يصابُ بالجفاف وفقر الدم ويموت ببطء، وحده الإنسان بعد أن بلغ به الوعي بحقيقته كجسد وعقل وإرادة/ قوة في العالم من قتل الإله، وليس غيره من يتحمل ما يستجدُ من أعباء لأنه صار وحيدا في هذا العالم بدون سند وأساس، المدهشُ هنا أن المجنون على وعي بهذا من خلال أسئلته التي تتكثر في المتن بعد إعلان موت الإله من قبيل "ماذا فعلنا بإبعاد هاته الأرض عن شمسها؟، إلى أين تسير الآن؟، إلى أي شيء تقود حركتها؟، أبعيدا عن كل الشموس؟، ألم نندفع في منحدر طويل؟، وذلك إلى الخلف، إلى الجانب، إلى الأمام، إلى كل الجوانب؟، أما يزال هناك أعلى وأسفل؟، (..)، ألا نحس نفس الفراغ؟، أليس الجو أبرد مما كان؟، أليس الوقت ليلا باستمرار ويصير ليلا أكثر فأكثر؟". وهي كلها تحيل إلى أن غياب الإله ستجعلُ الكون بأسره يدخل في فوضى عارمة تقودُ إلى الفناء، وكأن ثمة علاقة في وعي الإنسان بين وجود الإله وبين القانون، أو بين الغياب والفوضى، وبصيغة نيتشوية أن الإنسان كان يشمع مفاصل الوجود بأكبر أكذوبة في التاريخ ويزينُ لنفسه الحياة بعبادتها، والأدق لقد كان يغلبُ أسوء الاحتمالات(التي هي مجرد وهم) على بقية الاحتمالات الواقعية،

موته يعني لم نعد نمتلك مبررات لفشلنا، ولم يعد هناك ضامنٌ لصناعة الحياة إلا نحنُ، بل لم يعد هناك حياة مخطط لها قبليا من قدير يتميز بالحكمة، وحده الإنسان المسؤول على ما سيكون، وما سيحدث له في العالم.

غريبٌ أمرُ المجنون أن يستعيد بعضا مما يمارسُ في الأماكن المقدسة، لأنه يعلمُ نتائج الفعلة في كيان الموجود الإنساني ربما جرحته في العمق لأنها أفقدته المعنى والقيمة لفقدان الأساس، كل شيء يصيرُ في عينيه رماديا ويزدادُ رمادية أكثر أو أكثر سوداوية وعتمة من ذي قبل، دون أن يستثني من ذلك القتلة، الذين يشعرون بالذنب وشناعة ما فعلوا: "كيف سنعزي أنفسنا نحن أكبر القتلة؟، إن أقدس وأقوى ما ملك العالمُ إلى الآن قد نزف دمه بطعنات مدانا- من سيمسح هذا الدم عن أيدينا؟". طبعا مكمنُ الغرابة ليس هنا، وإنما في ما تحمله الأسئلة التالية "أي ماء سيطهرنا؟، أية مراسيم تكفيرية، أية ألعاب مقدسة يجبُ علينا أن نبتكر؟، وعظمُ هاته الفعلة، أليس شيئا يفوق طاقتنا؟". هو يستعيد فكرة أننا بالماء المقدس أو الطاهر يمكنُ أن نغتسل ونتطهر من الخطايا، كما يستعيد الممارسات الشعائرية والطقسية التي يمكنُ أن نكفر بها عن الفعلة، بمعنى ما أن المجنون لم يغادر مجال الممارسات الدينية التي كانت تجرى لغسل الخطايا والتكفير عن الذنوب، طبعا ما يستعيده جاء في صيغة تصغير وتقليل، وكأن كل ما يمكنُ أن يقوم به لأجل التفكير عن تلك الخطيئة/ فعلة القتل يظل بسيطا، لأن ما فُعل لا يمكنُ أن يضاهيه فعل آخر في تاريخ الإنسانية، بل إن فعل إنزال آدم من الجنة بفعل الخطيئة لا يبدو شيئا، بالمقارنة مع الفعلة التي ارتكبت في حق الإله، لا شيء يمكنُ أن يطهر الملاحدة والمجنون من تلك الجريمة، ولو أقاموا كل الشعائر واغتسلوا بمياه البحار فسيبقى الجرم يتبعهم وربما اللعنة أيضا ستلاحقهم أينما حلوا، والسبب أن الأغلبية كانت مستأنسة به في وجودها كضامن، كمبرر، كأمل [أولم يقول كارل ماركس: الدين زفرة المخلوق المضطهد، روح عالم لا قلب له، كما أنه روح الظروف الاجتماعية التي طرد منها الروح، إنه أفيون الشعوب(37)] ليس إلا.

طبعا لن تكون هناك نتيجة لازمة عن موت الإله سوى تلك التي تقول بأن الموجود الإنساني سيرغب بأن يحل محله ويصير هو المهيمن على المشهد العالمي، ويكونُ هو ذاته علّة القيم وأساسها كسيد ومشرّع لها، والحق أن المجنون قد استعجل بالمسألة بعد تكوثر الأسئلة وتكثّرها في صيغة سؤال يقرّ صراحة تلك النتيجة "ألا يجب علينا أن نصير نحنُ أنفسنا آلهة نبدو جدرين بهاته الفعلة؟، لم تحدث أبدا فعلة أعظم من هاته وكل من سيولد بعدنا سينتمي، بمقتضى هاته الفعلة نفسها، لتاريخ أسمى مما كان عليه التاريخ حتى الآن». وحدهم من ينتمي إلى الما بعدُ هم الذين

سيجدون قواعد وأسس جديدة مستمدة من الإنسان الأكثر إيمانا بذاته وبإرادته وقوته على الخلق التي تتجلى في إبداع "قيم جديدة غير مسبوقة، قيم يتمّ التوسل فيها بمبدأ يقلب الاعتبار التقويمي المتّبع، فما كان من القيم يُعدّ سلبيا، يصير معدودا في القيم الإيجابية، والعكس بالعكس، ولما كانت القيم المأخوذ بها تعادي الحياة في الأرض فلا بد لمبدإ التقويم الجديد أن يعيد الاعتبار لهذه الحياة، والحال أنه حيثما توجد الحياة، فثمة إرادة قوة أو على حد اللفظ الألماني إرادة للقوة"[38]. قيم تجعلُ من الإنسان يقفُ على الحافة دون أن تقوده إلى الهاوية والثقوب السوداء كالتي خلقها الكهنة، قيم جديدة تجعله يقف وجها لوجه أمام العالم بكل عنفوانه ونموّه وكل قواه الحية.

ربّ إعلان صدم مستمعيه وقادهم للخوض في تجربة جديدة للسؤال من حيثُ حمولته لأنهم لم يعتادوا أن يفكروا في الإله، أو لم يكن همهم إثباتُ وجوده أو عدم وجوده، حمولة تحيلُ ضمنيا أن الإله قد تم نسيانه بالكلية، لكن لا يعني النسيانُ أنه قد مات، الجملة الأخيرة هي التي صدمتهم لأنها لم تخطر على البال بالمطلق، لكن فوق تلك الصدمة التي أصابتهم اعترتهم الدهشة من كل الأسئلة التي طرحت والتي تقول ما يمكنُ أن يصيبنا من دوار من تيه في الظلام، لأن مصدر النور لم يعد موجودا لأنه انطفئ والأدق إنه مات أو قتل، في كل مرّة كان المجنون يفصل القول بأسئلته كان من يسمع يصابُ بالدهشة بعد أن كان جوابه للفرجة، لقد أحالهم للصمت من كثرة الأسئلة ومن بشاعتها، لأنها كانت تحملُ بين ثناياها المصير الذي يتراوح بين دوار، ظلمة وفوضى وذلك ما يخافه الموجود الإنساني يخشى المصير لذا تجده يركنُ إلى الكتب الصفراء ليخفف عن نفسه القلق من المستقبل، تلكم هي وضعية من كان في السوق بعد الهرج والضحك يقول نتشه: "هنا توقف الرجل الأخرق وتأمل مستمعيه: هم بدورهم ركنوا إلى الصمت وصاروا ينظرون إليه دون أن يفهموا". أي شيء، لأنهم لم يعوا الأبعاد المنطقية للمسألة التي عناها المجنون، لم تفهمه أقدرُ العقول في تلك الأزمنة التي كانت متمرسة في العلوم، أولئك الذين لا يؤمنون بوجود إله، ربما عدم إيمانهم به لا يحيلُ مباشرة إلى موته بالضرورة، وكأنهم لم يحسموا مسألة الإله في أعماقهم بشكل جذري، لذا كانت ردّة فعل المجنون أن "ألقى بفانوسه على الأرض حتى أنه انكسر وانطفأ". ربما أغضبه سوء فهمهم للمسألة لأنه كان يعقدُ آماله عليهم في الفهم والتمهيد للعصر الجديد فكانت ردتُ فعله رميُ الفانوس، وحده الفيلسوف الذي يمتلك عمقا هو الذي لا يمكنُ أن يُفهم إلا من قبل من لهم عمقُ نظر، وحدسٌ رهيب لاستخلاص النتيجة دون تفاصيل، من يكن عميقا يقدر على أن يكون فاتحة العصر، أو أن متونه الفلسفية تحمل ممكناتٌ هي ذاتها مفتاحٌ للمستقبل، أو

نصوصه الفلسفية كتبت لعقول لم يحن أوانها، والمجنونُ يعترف بذلك صراحة بالقول لقد جئتُ «قبل الأوان، قال إثر ذلك، لم يحن أواني بعدُ». ما معنى ذلك ؟. ما معنى أن تأتي قبل الأوان أو مبكرا جدا؟. إنها تحيلُ إلى الزمان الخطأ، دون أن يمتد إلى المكان/المجتمع في حالة فيلسوف كفريدريك نيتشه، لأن التربة الألمانية والمجتمع الألماني كانت خصبة للقول الفلسفي، بل هي كانت شرطها الأساسي لنموها وسيادتها المشهد الغربي في لحظة ما.

نعم للفلسفة شرط أساسي وفق الرؤية النيتشوية إن فُقِدَ لا يمكنُ أن تكون هناك فلسفة، بل لا يمكنُ"الأي كان أن يكون فيلسوفا، بل] ليس له حق في الفلسفة، بالمعنى الكبير للّفظ، إلا بفضل أصله، والحاسمُ هنا أيضا الأسلاف والدم، إن أجيالا كثيرة يجبُ أن تمهّد لنشأة الفيلسوف، وكل فضيلة من فضائله يجبُ أن تكتسب وتُرعى وتورّث وتُتمثّل على حدة، وليس المقصود بذلك سير أفكاره وجريانها الرشيق والخفيف والمقدام وحسب، بل أكثر من أي شيء، الاستعداد لتحمّل المسؤوليات الكبيرة، وسمو النظرات السيّدة المشرفة، والشعور بالانفصال عن الحشد وواجباته وفضائله، والدفاع الكريم عما يشتم ويساء فهمه، سواءٌ الله أم الشيطان، واللذة في العدالة الكبيرة والتمرّن عليها، وفنّ الأمر، ووسع الإرادة، والعين المتأنية التي نادرا ما تبدي إعجابا، ونادرا ما تنظر إلى أعلى، ونادرا ما تحب"[39]. طبعا لا يعني الخطأ في الزمان أن المسألة في كليتها خطأ أو ما كان يجبُ أن يكون القدوم/ الوجود باكرا، بل هي تحيلُ إلى نوع من المكر يمارسه العقل بالمعنى الهيغلي، أو مكرٌ من إرادة القوة التي تريدُ أن تنمو وتحيا، هي تحديدا من تستعجلُ الإعلان، وكأن الضيق الذي مارسه كل من يقف ضدها أو ضد الضيق الذي مارسته الفلسفات النسقية التي بلغت الذروة مع هيغل هو الذي جعل منها تفتحُ ثقبا أسودا لا يراه إلا من كان يمتلك عينا ثاقبة ويتحسس الأشياء ويذهبُ إلى العمق إلى الخلف بحثا عن الأسباب التي تقف ورائها تأسيسا[40]. ويمتلك قدرة رهيبة على الحدس والوعي العميق أو يمتلك كما يقول نيتشه:"حاسة شّم مرهفة لالتقاط علامات الطلوع والتقهقر"[41]. ويكون فضلا على ذلك مدركا "بمحض حدس [لا يضاهى قوة] وسائل العلاج ضدّ كل ما هو مضرّ، ويحوّل لمصلحته الصدف الكريهة"[42]. والأكثر بشاعة بالنسبة للآخرين، بمعنى ما أن يكون من ذلك النوع النادر جدا الذي يركب الخطر، مغامر ومجنون، يحسُ بأنه غريب عن كل شيء أو أنه سابقٌ لأوانه يقول نيتشه:"يبدو لي أكثر فأكثر أن الفيلسوف، وهو بالضرورة إنسان للغد وبعد الغد، كان، ووجب أن يكون، في كلّ الأزمنة على تناقض مع حاضره: فخصمه كان في كلّ مرّة أَمْثَلَ حاضره، ولقد وجد مطوّرو الإنسان الخارقون هؤلاء الذين يسمّون

فلاسفة، والذين أحسّوا أنفسهم لا أصدقاء للحكمة، بل بالأحرى مهووسين غير مرغوب فيهم وعلامات استفهام خطرة، وجدوا جميعهم حتّى الآن، مهمّتهم، مهمتهم القاسية، والمحتومة وغير المرادة، إنما أخيرا مهمّتهم الكبيرة في كونهم عذاب ضمير عصرهم الخبيث"[43]. لكن أفراد فقط من هؤلاء النادرين من يقدر على ترصد أمارات التغيير وهي تلوح في الأفق، أو وهي آيلة للإنوجاد خلسة بدون أن تُعلم الكل بتحققها/ بقدومها، تخاتلهم على حين غرّة، دون أن تقدر هي على الانفلات أو الاحتجاب عن نظر أولئك الفلاسفة النادرين جدا، بمعنى ما أن المجنون/الأحمق الذي ذكر في المتن النيتشوي هو أحدهم، نعم هو أحد الفلاسفة النادرين لأنه قد اكتشف ما هو آيل للإنوجاد بشهادته هو عن حادثة موت الإله: "هذا الحدث الرائع ما يزال يمشي ويسافر- لم يبلغ آذان الناس بعد". لم يبلغ الدرجة التي تجعل طبلة الأذن تهتز، الحدث يتحرك بخفة بينهم بعد أن يلفهم من جميع الجهات يعلنُ عن ذاته وبقوة، وحدهم من يمتلكون حاسة شم قوية هم من يعرفون بأن نسيم الهواء قد تبدلت رائحته أو أن رائحة غريبة بدأت تختلطُ به وهي تزدادُ قوة يوما بعد يوم دون أن يحس الناس بها إلى أن تتسيد وتبدأ آثارها تظهرُ على حياتهم والعالم الطبيعي، إن الحدث الذي حدسه المجنون يحتاج إلى وقت لكي يُعرف، لأنه في الأصل كما قلنا آيل للإنوجاد والتوقعن، نعم هو يحتاج إلى ذلك مثله في ذلك مثل الظواهر التي تحدث في الكون/ العالم الطبيعي فـ "يلزم الصاعقة والرعد بعضُ الوقت، يلزم ضوء النجوم بعض الوقت، يلزم الأفعال بعض الوقت، يلزمها كلها بعض الوقت". فتلك الأشياء وكأنها تنمو ببطء وتبلغ كمالها بعد زمان معين وما إن يتحقق لها بلوغ التمام إلا وتُرى وتسمع، بمعنى ما أنه لا ضجيج ولا توقعن أمام العين إلا بعد زمن.

المدهشُ هنا أن أسباب توقعن الحدث الذي تكلمُ عنه المجنون هو إنساني بامتياز، لكن دون أن يحس بقدومه أو بفعلته تلك، لقد كان ثقيلا في كل شيء، ربما كان يعاني من صمغ متراكم في الأذن لذا لم يسمع شيئا، ربما كان مصابا بزكام مزمن أو تورم في الجيوب الأنفية لذا لم يشم الرائحة التي يحملها الهواء، وربما تحولت بعضُ الأفكار إلى عقائد صلبة منعت العقل من أن يحدس ما يحدث من تقلبات أو التنبوء بالحدث، لقد تحول الموجود الإنساني إلى كائن ثقيل جدا فهما وحدسا واستخلاصا للنتائج قبل الأوان من تفاصيل تتابع بعضا وراء بعض، لم يكن كائنا يقظا لما يحدث من حوله، بل لم يكن يقظا بأن العالم يتهاوى من الأساس والقيم تتلاشى وهو سببها، وكأن المسألة تشبه في عمقها عمليات إنتاج لسلع أو ما شابهها يكون لها تبعات على المدى الطويل على الإنسان والعالم/ البيئة، ولم يقدر أحد أن ينتبه إليها وإلى خطورتها إلا بعد فوات الأوان، فما

بين الفعلة/ الحدث ووعي الناس ـ بها على الرغم من أنهم هم علّتها ـ مسافة بعيدة "أبعد عنهم من النجوم الأشد بعدا- ومع ذلك فإنهم هم الذين قاموا بها !". هذا الهُم لا يقصدُ به الإنسان في كليته، بل يقصد من تصدر المشهد العلمي وربما الفلسفي أيضا هؤلاء وحدهم من كان لهم عميقُ الأثر في الحياة الإنسانية، ما إن انتهى المجنون من كلامه لهذا الهُم ألقى بالفانوس، وانتقل في ذلك اليوم إلى الكنائس، وكرر على مسامع من فيها حدث موت الإله، لكنه في كلّ مرّة كان يطرد خارجا، وفي بعض الحالات يستجوب بالقوة وأخرى بلين لكي يبرر ما يقوله ويفعله، لكنه في كلتا الحالتين لم يكف عن الحديث عن موت الإله، هذه المرّة دليله على الموت هو الكنائس ذاتها حيثُ نجده يقول: "ما هي هاته الكنائس إذن إن لم تكن مدافن وقبور الإله؟". المدهشُ هنا ليس في النقلة وتوسيع دائرة من يجب أن يعرف، وإنما في الشاهد الذي يحيلُ إلى موت الإله، الأول الفانوس وهو مشتعل والشمس في كبد السماء وهو يحيلُ ضمنيا إلى عجز العقل في بلوغ المعرفة اليقينية بالإله مكانا ووجودا، والثاني الكنيسة المكان الأكثر سلبا للقوى الإنسانية ومصادرتها وهي التي يقبعُ فيها دليل القتل، فكل الكنائس فيها الصليب الذي مات عليه المسيح، وكل الذين آمنوا يشهدون بأنه صلب، وهذا يعني أن مسألة الغياب/ عدم الوجود ومسألة الكنائس وصلب المسيح تتكافأ مع موت الإله عند المجنون، إن السؤال الذي يقذف هنا من هو المجنون على وجه الحقيقة؟.

ثمة ما يبرر لنا قذف السؤال السابق وهو عمق الأسئلة التي طرحها المجنون بين من كانوا في السوق من الناس، هي أسئلة لها علاقة قوية بالجواب عن سؤاله أين الإله؟. الجواب أن الإله قد مات، لقد بينت عدم وعيهم بالحقيقة وبالنتيجة التي ستتوقعن، وآثارها الكارثية على مستوى عمق الغالبية من الناس، وما صمتُ الملاحدة في الحقيقة إلا دليلٌ على ذلك، فهو يحيلُ إلى هوّة سحيقة قد وقعوا فيها فكرا أو أنهم أحسوا بأنهم على حافة هوّة لا قرار لها، أن يصمت مثل أولئك يعني أن المجنون قد أربكهم وزعزع الأساسات التي كانوا يقيمون عليها على الرغم من عدم إيمانهم بالإله، أو هكذا يتراء لهم، يحيلُ صمتهم فيما نعتقد إلى أنه ثمّة بقايا من آثار الإله مترسبة في القاع تشتغلُ في اللاوعي أو في الخفاء، ربما هم استغنوا عن الإله ظاهريا لكن في العمق لم يتخلصوا منه بالمطلق، إن الأسئلة التي طرحها المجنونُ تحيلُ إلى أن أعمق أعماقه خال من فكرة الإله وأنه لا شيء من ذلك القبيل يقبع تحت الجلد أو في المخيخ، أو في خلايا العظم، وكأنه نسف كل شيء بديناميت، ومن يقدر على هذا النسف وعلى توقيع موتَ الإله سوى الفيلسوف صحاب المتن الفلسفي ذاته، نعم نيتشه هو الذي ارتدى عباءة الجنون/ المجنون ليقول ما قد سمع ورأى ما حدسه وشمّ قدومه من بعيد يقول أ. فوضيل

إيدير: "إن المجنون الذي أشار إليه نيتشه في النص السابق هو نيتشه نفسه، وفكرة موت الإله عنده كانت تدلُ على موت العقل الفلسفي الغربي الذي كان وراء إبداع كل التقويمات والمعايير الأحكام الأخلاقية والمفارقة للوجود"[44]. وهو في ذلك لا يبتعد على ما أقرّه الفيلسوف الفرنسي جون غرايش بالقول: "يجد [معنى الإلحاد] تعبيره الرمزي في الفقرة (125) من (العلم المرح) يصف فيها نيتشه في تعبير مَثَلي وعلى لسان متحمس [أي المجنون]، الحدث المذهل السائر دائما، والحركة التي يشكلّها ((موت الإله))، كما تعلنُ عنه مملكة الإله اليسوع، موت الإله على لسان المتحمّس [المجنون] وهو نيتشه نفسه، هو، في الوقت نفسه، معاينة وإعلان، لا يتوجّه الإعلان بالضرورة إلى المؤمنين، بل إلى غير المؤمنين، أي إلى الملحدين المتيقّنين، العاجزين عن الاحتساب لنتائج هذا الحدث"[45].

الخاتمة:

من الصعوبة بمكان أن نختم القول بلفظ النتائج التي تم استخلاصها من القراءة التي قمنا بها للشذرة المأخوذة من العلم المرح لفيلسوف يأبى أن تكون هناك خواتم تحسمُ فيها المسائل، بقدر ما يحبُ أن تفتح على إثرها دروبا وآفاقا جديدة، لذا لن تكون الخاتمة هنا إلا ارتدادا إلى البدء الذي تأسست عليه تلك الشذرة إلى المجنون الذي يحملُ فانوسا والسؤال أين الإله؟ لأن الأخيرة تحيلُ إلى المرجعيات التي يتكئ عليها صاحبه، وأخرى لم يستطع تخطيها على الرغم من نقده لها، أحداها يتجلى في ديوجين الكلبي الحامل للفانوس في اليومي اليوناني، والثاني يضمره السؤال الذي يبدأ بالأين؟، الأين تحيلُ ضمنيا إلى المكان الذي يجبُ أن تكون فيه الأشياء، هو مقولة عامة من المقولات التي حددها إيمانويل كانط في مؤلفه الشهير ((نقد العقل المحض))، بمعنى ما أن فريدريك نيتشه لم يغادر الأرض الكانطية في نظرية المعرفة، فما يمكنُ أن يعرف معرفة يقينية يجبُ أن يكون موجودا في المكان، والأدق متحيزٌ في الزمان والمكان، وإلا فهو غيرُ موجود، وتلك الشذرة الفلسفية تحيلُ إلى ذلك، بل وتحيلُ إلى أن موت الإله حصيلة تقدم العقل الغربي العلمي الذي كان في كلّ مرّة يكتشف فيها حقيقة العالم والأشياء الموجودة تبدأ فكرة الإله بالتلاشي والأفول من اليومي الغربي، وبالتالي تصحيح الوضع الإنساني داخل العالم وإعادة الاعتبار لهما، من جهة استرداد كل القيم التي كانت تنسبُ إلى الإله والعالم المفارق على السواء.

قائمة المصادر والمراجع المعتمدة:

قائمة المصادر:

- نيتشه فريدريك: إرادة القوة، محاولة لقلب كل القيم، تر وتق محمد الناجي، ط01، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2011.
- نيتشه فريدريش: هذا هو الإنسان، تر علي مصباح، ط02، منشورات الجمل، بيروت، بغداد، 2003.
- نيتشه فريدريك نيتشه: في جنيالوجيا الأخلاق، تر فتحي المسكيني، ط01، المركز الوطني للترجمة تونس، 2010.
- نيتشه فريدريك: عدو المسيح، تر جورج ميخائيل ديب، ط02، دار الحوار للنشر، دمشق، 2005.
- نيتشه فريدريك: العلم المرح، تر حسان بورقية، محمد الناجي، ط01، أفريقيا الشرق، المغرب، 1993.
- نيتشه فريدريش: هكذا تكلّم زرادشت، كتاب للجميع ولغير أحد، تر علي مصباح، ط01، منشورات الجمل، كولونيا (ألمانيا) — بغداد، 2007.
- نيتشه فريدريش: ما وراء الخير والشر، تباشير فلسفة للمستقبل، تر جزيلا فالور حجار، ط01، دار غروب في، بيروت، 1995.

قائمة المراجع:

بول ريكور: في التفسير، محاولة في فرويد، تر وجيه سعد، ط01، أطلي للنشر والتوزيع، 20..

جون غرايش: العيشُ بالتفلسف، التجربة [ال]فلسفية، الرياضات الروحية، وعلاجيات [ال]نفس، تر محمد شوقي الزين، ط01، مؤمنون بلا حدود، المملكة المغربية، 2019.

- جان هرش: الدهشة الفلسفية، (تاريخ للفلسفة)، تر محمد آيت حنا، ط01، منشورات الجمل، بيروت، بغداد، 2019.

داريوش شايغان: الأصنام الذهنية والذاكرة الأزلية، تر حيدر نجف، ط01، دار الهادي للطباعة والنشر، بيروت، 2007 .

عبد الرحمن بدوي: نيتشه، ط05، خلاصة الفكر الأوروبي، سلسلة الفلاسفة، وكالة المطبوعات، الكويت، 1975 .

- مطاع صفدي: نقد العقل الغربي، الحداثة وما بعد الحداثة، د/ط، مركز الانماء القومي، بيروت، 1990.
- دانيال بلو: تشكّل فريدريك نيتشه، السعي للهوية، 1844/ 1869م، تر محمد الفشتكي، دار الرافدين للنشر، بيروت، 2018.
- نجيب بلدي: ديكارت، سلسلة نوابغ الفكر الغربي، ط02، دار المعارف للنشر والتوزيع، القاهرة، د/ت.
- محمد المزوغي: تحقيق ما للإلحاد من مقولة، ط01، منشورات الجمل، بيروت، بغداد، 2014.
- محمد أندلسي: نيتشه وسياسة الفلسفة، ط01، دار توبقال لنشر والتوزيع، المغرب، 2006.

فتحي المسكيني: الإيمانُ الحر، أو ما بعد الملّة، مباحثٌ في فلسفة الدين، ط01، مؤمنون بلاحدود للدراسات والأبحاث، المملكة المغربية، 2018

- فتحي المسكيني: الهجرة الى الإنسانية، ط01، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2016.

- فتحي المسكيني: الكوجيطو المجروح، أسئلة الهوية في الفلسفة المعاصرة، ط01، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2013

- مارتن هايدغر: الأسئلة الأساسية للفلسفة، مُشكلاتٌ مختارة من المنطق، تر إسماعيل المصدق، مرا مشير عون، ط01، دار الكتاب الجديد، المتحدة، بيروت، 2018.

- كنت إمانويل: نقد العقل المحض، تر غانم هنا، مرا فتحي المسكيني، ط01، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2013.

سبينوزا باروخ: مبادئ فلسفة ديكارت، أفكار ميتافيزيقية، مراسلات، تر جلال سعيد، مرا صالح مصباح، ط01، المركز الوطني للترجمة تونس، 2015.

- أفلاطون: الجمهورية (المدينة الفاضلة)، تر عيسى الحسن، ط01، الأهلية للنشر والتوزيع، المملكة الأردنية الهاشمية، 2009.

- تولستوي ليف: في الدين والعقل والفلسفة، تر يوسف نبيل، ط01، دار آفاق لنشر والتوزيع، القاهرة، 2018.

- طه حسين: في الشعر الجاهلي، الكتاب والقضية، تق ودرا عبد المنعم تليمة ط01، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2007.

- فرح أنطون: ابن رشد وفلسفته، مع نصوص المناظرة بين محمد عبده وفرح أنطون، تق طيّب تيزيني، ط01، دار الفارابي، بيروت، 1988.

- محمد أيت حنا: الرّغبة والفلسفة، مدخل إلى قراءة دولوز وغوتاري، ط01، دار توبقال، المغرب، 2011.

- ستيوارت هامبشر: عصر العقل، فلاسفة القرن السابع عشر، تر ناظم طحان، ط02، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، 1986.

- عزمي بشارة: الدين والعلمانية في سياق تاريخي، ج02، مج01، العلمانية والعلمنة: الصيرورة الفكرية، ط01، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، قطر، 2015، 02ج.

- ماركس كارل وفريدريك إنجلز :الإيديولوجية الألمانية، مصادر الاشتراكية العلمية، تر فؤاد أيوب، ط01، دار الفارابي، بيروت، 2016.

- رونيه ديكارت: حديث الطريقة، تر وشر وتع عمر الشارني، ط01، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2008.

- فرنسيس بيكون: الأورجانون الجديد، ارشادات صادقة في تفسير الطبيعة، تر عادل مصطفى، ط01، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2013.

- كارل ماركس: نقد فلسفة الحقوق عند هيغل، ضمن كتاب: كارل ماركس وفريدريك انجلس: حول الدّين، تر ياسين الحافظ، ط02، دار الطليعة، بيروت، 1981.

- طه عبد الرحمن: شرود ما بعد الدهرانية، النقد الائتماني للخروج من الأخلاق، ط01، المؤسسة العربية للفكر والإبداع، بيروت، 2016.

ج- قائمة المقالات:

- إيدير فوضيل: موت الإله عند فريدريك نيتشه، مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع02، مج 18، مجلة محكمة نصف سنوية تصدرها كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر 02، 2011.

غانم هنا: نيتشه فاصل بين حديث ومعاصر، تجاوز هيغل؟، مجلة عالم الفكر، ع04، مجلة فصلية تصدر في الكويت، 01 أبريل 2002 .

- فرح أنطون: الفيلسوف نيتشه وفلسفته، مجلة الجامعة، ج 01، السنة 06، مجلة اجتماعية علمية تاريخية، نيويورك، فبراير 1908.

الهامش:

(1) فتحي المسكيني: الإيمانُ الحر، أو ما بعد الملّة، مباحثٌ في فلسفة الدين، ط01، مؤمنون بلاحدود للدراسات والأبحاث، المملكة المغربية، 2018: ص229.

(2) غانم هنا: نيتشه فاصل بين حديث ومعاصر، تجاوز هيغل؟، مجلة عالم الفكر، ع04، مجلة فصلية، تصدر في الكويت، 01 أبريل 2002: صص 09، 10.

(3) داريوش شايغان: الأصنام الذهنية والذاكرة الأزلية، تر حيدر نجف، ط01، دار الهادي للطباعة والنشر، بيروت، 2007: ص31.

(4) عبد الرحمن بدوي: نيتشه، ط05، خلاصة الفكر الأوروبي، سلسلة الفلاسفة، وكالة المطبوعات، الكويت، 1975: صص202، 203 بتصرف.

(5) مطاع صفدي: نقد العقل الغربي، الحداثة وما بعد الحداثة، د/ط، مركز الإنماء القومي، بيروت، 1990: ص05.

(6) جون غرايش: العيشُ بالتفلسف، التجربة الفلسفية، الرياضات الروحية، وعلاجيات النفس، تر محمد شوقي الزين، ط01، مؤمنون بلا حدود، المملكة المغربية، 2019:

(7) بول ريكور: في التفسير، محاولة في فرويد، تر وجيه سعد، ط01، أطلي للنشر والتوزيع، 2003:ص38 بتصرف.

(8) جان هرش: الدهشة الفلسفية، (تاريخ للفلسفة)، تر محمد آيت حنا، ط01، منشورات الجمل، بيروت، بغداد، 2019: ص397 بتصرف.

(9) فرح أنطون: *الفيلسوف نيتشه وفلسفته، مجلة الجامعة، ج 01، السنة 06، مجلة اجتماعية علمية تاريخية، نيويورك، فبراير 1908: صص16، 17 بتصرف.*

(10) نيتشه فريدريك: إرادة القوة، محاولة لقلب كل القيم، تر وتق محمد الناجي، ط01، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2011 :ص07 بتصرف.

(11) نيتشه فريدريش: هذا هو الإنسان، تر علي مصباح، ط02، منشورات الجمل، بيروت، بغداد، 2003: ص153.

(12) نيتشه فريدريك نيتشه: في جنيالوجيا الأخلاق، تر فتحي المسكيني، ط01، المركز الوطني للترجمة تونس، 2010: ص54.

(13) دانيال بلو: تشكّل فريديريك نيتشه، السعي للهوية، 1844/ 1869م، تر محمد الفشتكي، دار الرافدين للنشر، بيروت، 2018: ص177 بتصرف.

(14) نجيب بلدي: ديكارت، سلسلة نوابغ الفكر الغربي، ط02، دار المعارف للنشر والتوزيع، القاهرة، د/ت: ص119 بتصرف.

(15) محمد المزوغي: تحقيق ما للإلحاد من مقولة، ط01، منشورات الجمل، بيروت، بغداد، 2014: ص45.

(16) نيتشه فريدريك: عدو المسيح، تر جورج ميخائيل ديب، ط02، دار الحوار للنشر، دمشق، 2005 :ص58 بتصرف.

(17) محمد أندلسي: نيتشه وسياسة الفلسفة، ط01، دار توبقال لنشر والتوزيع، المغرب، 2006: ص58.

(18) فتحي المسكيني: الهجرة إلى الإنسانية، ط01، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2016: ص19.

(19) فتحي المسكيني: الكوجيطو المجروح، أسئلة الهوية في الفلسفة المعاصرة، ط01، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2013: ص91.

(20) نيتشه فريديريك : العلم المرح، تر حسان بورقية، محمد الناجي، ط01، أفريقيا الشرق، المغرب، 1993: صص132، 133.

(21) نيتشه فريدريك: : إرادة القوة، محاولة لقلب كل القيم، مصدر سابق: ص07.

(22) مارتن هايدغر: الأسئلة الأساسية للفلسفة، مُشكلاتٌ مختارة من المنطق، تر إسماعيل المصدق، مرا مشير عون، ط01، دار الكتاب الجديد، المتحدة، بيروت، 2018: صص23، 24 بتصرف.

(23) كنت إمانويل: نقد العقل المحض، تر غانم هنا، مرا فتحي المسكيني، ط01، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2013: ص17.

❖ يؤكد البعض بأن المسألة لا تعدوا سوى تعالي يقومُ به العقل الإنساني، يقول هنري أُلدنبورغ في رسالته لسبينوزا: "هل من الواضح والثابت في رأيك أنّه انطلاقا من تعريفك للإله، يترتبُ البرهان على وجوده؟، أمّا أنا فبقدر ما أتأمّل الأمر جيّد يتبيّن لي أنّ التعريفات لا تتضمنُ شيئا آخر غير تصوّرات هي من إنشاء فكرنا، والحال أنّ فكرنا يتصور أشياء كثيرة لا أساس لها من الوجود، فضلا عن خصوبة بالغة في مضعفة عدد هذه الأشياء والمزيد منها، وبالتالي فإنّي لا أرى كيف يمكن لي، من تصوري للإله أن استنتج وجوده، قد استطيع حقّا، لو جمعت بفكري كلّ الكمالات التي أعاينها في البشر والحيوان والنبات المعدن، إلخ أن أؤلف جوهرا أوحدا حائزا على كلّ هذه الفضائل معًا، بل أستطيع بفكري أن أضاعف عددها وأن أزيد منها بلا نهاية، حتى أتصور كائنا يرقى إلى أسمى درجات الكمال والامتياز، لكن لن أستطيع مع ذلك قطُّ أن أثبت بهذه الصورة وجود كائن كهذا.

- نقلا عن: سبينوزا باروخ: مبادئ فلسفة ديكارت، أفكار ميتافيزيقية، مراسلات، تر جلال سعيد، مرا صالح مصباح، ط01، المركز الوطني للترجمة تونس، 2015: صص203،204.

(24) أفلاطون: الجمهورية (المدينة الفاضلة)، تر عيسى الحسن، ط01، الأهلية للنشر والتوزيع، المملكة الأردنية الهاشمية، 2009: صص323، 324، 325.

(25) المرجع نفسه: ص327.

(26) تولستوي ليف: في الدين والعقل والفلسفة، تر يوسف نبيل، ط01، دار آفاق لنشر والتوزيع، القاهرة، 2018: ص44 بتصرف.

(27) طه حسين: في الشعر الجاهلي، الكتاب والقضية، تق ودرا عبد المنعم تليمة ط01، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2007: صص65، 66 بتصرف.

(28) فرح أنطون: ابن رشد وفلسفته، مع نصوص المناظرة بين محمد عبده وفرح أنطون، تق طيّب تيزيني، ط01، دار الفارابي، بيروت، 1988: ص41.

(29) نيتشه فريدريش: هكذا تكلّم زرادشت، كتاب للجميع ولغير أحد، تر علي مصباح، ط01، منشورات الجمل، كولونيا (ألمانيا) – بغداد، 2007: ص43.

(30) المصدر نفسه: الموضع نفسه بتصرف.

(31) محمد أيت حنا: الرّغبة والفلسفة، مدخل الى قراءة دولوز وغوتاري، ط01، دار توبقال، المغرب، 2011: ص22.

(32) ستيوارت هامبشر: عصر العقل، فلاسفة القرن السابع عشر، تر ناظم طحان، ط02، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، 1986: ص32.

(33) عزمي بشارة: الدين والعلمانية في سياق تاريخي، ج02، مج01، العلمانية والعلمنة: الصيرورة الفكرية، ط01، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، قطر، 2015، ج02: ص537.

(34) ماركس كارل وفريدريك إنجلز: الإيديولوجية الألمانية، مصادر الاشتراكية العلمية، تر فؤاد أيوب، ط01، دار الفارابي، بيروت، 2016: ص756.

(35) رونيه ديكارت: حديث الطريقة، تر وشر وتع عمر الشارني، ط01، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2008: ص341.

(36) فرنسيس بيكون: الأورجانون الجديد، ارشادات صادقة في تفسير الطبيعة، تر عادل مصطفى، ط01، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2013: ص130.

(37) كارل ماركس: نقد فلسفة الحقوق عند هيغل، ضمن كتاب: كارل ماركس وفريدريك انجلس: حول الدّين، تر ياسين الحافظ، ط02، دار الطليعة، بيروت، 1981: ص34.

(38) طه عبد الرحمن: شرود ما بعد الدهرانية، النقد الائتماني للخروج من الأخلاق، ط01، المؤسسة العربية للفكر والإبداع، بيروت، 2016: ص47.

(39) نيتشه فريدريش: ما وراء الخير والشر، تباشير فلسفة للمستقبل، تر جزيلا فالور حجار، ط01، دار غروب في، بيروت، 1995: صص182، 183 بتصرف.

(40) نيتشه فريدريش: هذا هو الإنسان، تر علي مصباح، ط02، منشورات الجمل، بيروت، بغداد 2003: ص09.

(41) المصدر نفسه: ص15.

(42) المصدر نفسه: ص19 بتصرف.

(43) نيتشه فريدريش: ما وراء الخير والشر، تباشير فلسفة للمستقبل، مصدر سابق: ص173.

(44) إيدير فوضيل: موت الإله عند فريدريك نيتشه، مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع02، مج 18، مجلة محكمة نصف سنوية تصدرها كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر 02، 2011: ص57.

(45) جون غرايش: العيشُ بالتفلسُف، التجربة الفلسفية، الرياضات الروحية، وعلاجيات النفس، مرجع سابق: ص471 بتصرف.